obeikandl.com

الباب الثامن
رسائل فى صندوق جدتى

obeikandl.com

المقال الأول
أحوال أصحاب الفروض

انتقلت جدتى لرحمة الله، ولم تكمل لى ما بدأنا، فقد اشتقت إليها، فلم نعتد على غيابها، فقد فتحت عيونى عليها، فأنت ضميرى، جاء الموت فمضى بك وأبقانى وحدى منفردا دون من يؤنس جلسات العلم، فتذكرت كلماتك المزينة والمفورة بكلمات الله ومن كتابه، فلسانك كان ذاكرا وقلبك خاشعا وعلما لنا هاديا، أتذكر يوما حين قالت جدتى: من أراد مؤنسا فالقرآن يكفيه، ومن أراد صديقا فالله يكفيه، ومن أراد واعظا فالموت يكفيه، تذكرت كلماتها حين قالت يرحمها الله: إن كل ما ينقصك تجده داخل هذا الصندوق، بعدما ما قام والدى بفتح الصندوق والأهل مجتمعين ووجدوا وصية الجدة بها، ومسجل كل ما لجدتى، وجدى يرحمهما الله، وانتبه والدى إلى كتاب فى قاع الصندوق كتبت عليه جدتى هذا من الجدة لحفيدى، وكتبت اسمى عليه، فأعطانى أبى إياه، وبدأت فى قراءته، دعوت لجدتى بأن ينزل الله عليها من رحماته وسكينته، وقلت: اللهم إن جدتى الآن تحت أرضك وفى حاجة إلى رحمتك، نسألك ربى أن ترحمها، ولا تضلنا بعدها، **{اللهم اغفر لنا ولإخواننا الذين سبقونا بالإيمان، ولا تجعل فى قلوبنا غلاً للذين آمنوا ربنا إنك غفور رحيم}**.

إن الاتفاق على الأمور تبنى على قواعد راسخة، فقد دعمتها جدتى، فقد قالت لى: إن العشوائية تقحمنا فى الأخطاء، وإن الأبناء تضبط لنا موازين القسط، بميزان الرحمة والعدل فيما بينهم، فإن لم يُعَدِّل أبناؤنا انتماءنا وصِلاتنا، صار الميزان جورا معوجا عليهم ونالهم الأذى، من عشوائية الأقدام التى ترتدى خف الأنانية، وفقدت فى خطواتها معنى السكن والمودة وصار ما نسعى إليه من الطمأنينة فى رحم الأسرة مجهضا من القسوة وأنانية النفس ومفرغا من معنى الإنسانية، وصارت الجذور سطحية، هشة الملمس، ومن يتغافل عن

تقوى الله، وإتباع قواعد عدله فقد دخل فى نفق المتاهة ولن يصل للبر آمنا، **{وَلا تَكُونُوا كَالَّذِينَ نَسُوا اللَّهَ فَأَنسَاهُمْ أَنفُسَهُمْ أُوْلَئِكَ هُمُ الفَاسِقُونَ}. الحشر-١٩**، فتحت كتاب جدتى الذى تركته لى، وجدته مقسما إلى أجزاء، الجزء الأول يحمل عنوانا لافتا «أوراق مبعثرة على طاولة الميراث»، والثانى يحمل عنوانا «هنا تبنى الأمم»، والجزء الأخير يحمل عنوان «ولو آية إليك تصل».

وكما أوصتنى جدتى أن أقرأ وأسجل ملاحظاتى، وابحث عما لا أجده فى كتاب الله، أو فى سنة نبيه، أو فى فقه العلماء والمجتهدين منهم، أو أن استفت القلب، بدأت فى القراءة وقلت باسم الله، وأول ما لفت نظرى أن جدتى كانت تقدم الملخص قبل أن تقدم الشرح، عكس ما هو معتاد من تقديم التلخيص بعد الشرح، وهى طريقة تقدم النتيجة قبل الاستقراء وهو ما يعرف بالنهج العلمى، ومن الغريب. إن جدتى قد دونت بطريقة سبقت النظرية العلمية فى القدرة على الاستنتاج فكانت تضع الدليل فى التلخيص أيضا.

سجلت جدتى أن لأصحاب الفروض (الورثة الذين لهم أنصبة مقدَّرة فى القرآن أو فى السُّنّة أو بالإجماع، وهم اثنا عشر شخصًا : الزَّوج، الزَّوجة، الأب، الأمّ، الجدّ الصحيح، الجدّة الصحيحة، البنت، بنت الابن، الأخ لأم، الأخت الشقيقة، الأخت لأب، الأخت لأمّ) .

وقامت بالتقسيم التالى (أصحاب النصف هم خمسة الزوج والبنت وبنت الابن والأخت الشقيقة والأخت لأب) – ولكم نصف ما ترك أزواجكم إن لم يكن لهن ولد (يقصد هنا نصيب الزوج فى وفاة الزوجة عندما لا يوجد للزوجة ولدا أو ولد للابن وما أسفله.

وأصحاب الربع لاثنين هما الزوج والزوجة، فالآية التالية تخص الزوج بعد وفاة الزوجة **{فإن كان لهن ولد فلكم الربع مما تركن}**.معنى لهن أى الزوجة – إن كان لها فرع وارث ولد أو ولد ابن وما أسفله –)، والآية التالية تخص الزوجة بعد وفاة الزوج **{ولهن الربع مما تركتم إن لم يكن لكم ولد}**. ، أى أن للزوج الربع إن كان للزوجة فرع وارث ولد، أو ولد أبن، وما أسفله.

وأصحاب الثمن لواحد فقط الزوجة أو الزوجات كما فى الآية: {فَإِنْ كَانَ لَكُمْ وَلَدٌ فَلَهُنَّ الثُّمُنُ مِمَّا تَرَكْتُمْ مِنْ بَعْدِ وَصِيَّةٍ تُوصُونَ بِهَا أو دَيْنٍ}.

أما الثلثان فلأربعة (البنات وبنات الابن والأخوات الشقيقات والأخوات لأب) - (فإن كن نساء فوق اثنتين فلهن ثلثا ما ترك).

أما الثلث لاثنين فلكل من الأم وأولاد الأم {فإن لم يكن له ولد وورثه أبواه فلأمه الثلث}.

كان من عادة جدتى أن تترك بعض الملاحظات على هامش الكتاب فوجدت على الهامش كلمتين هما الغراوين أو العمريتين فبحثت عن ذلك ووجدت أن التسمية جاءت لأن أول من قضى فيها عمر بن الخطاب رضى الله عنه، وهى تعنى مسألة الغراوين هى: اجتماع أحد الزوجين مع الأم والأب فهى عبارة عن مسألتين) زوج وأم وأب(أو (زوجة وأم وأب (ومذهب الجمهور أن للأم ثلث الباقى فقط لا ثلث جميع المال، وفى آيات المواريث إشارة إلى ترجيح هذا المذهب، حيث قال الله: {وَلِأَبَوَيْهِ لِكُلِّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا السُّدُسُ مِمَّا تَرَكَ إِنْ كَانَ لَهُ وَلَدٌ فَإِنْ لَمْ يَكُنْ لَهُ وَلَدٌ وَوَرِثَهُ أَبَوَاهُ فَلِأُمِّهِ الثُّلُثُ}. وجملة وورثه أبواه: قيدٌ فى الحكم المذكور فى الآية وهو إعطاء الأم الثلث، فكأن المعنى أن الأم لا تأخذ الثلث كاملاً إلا عندما يكون الوارث للميت الأم والأب فقط، وأما إذا جاء غيرهما كالزوجين فالأمر يختلف؛ فرجع الجمهور عند ذلك إلى القاعدة العامة وهى: «أن نصيب الذكر ضعف نصيب الأنثى التى فى درجته»، والأم فى درجة الأب فأعطوا الأب ضعفها وجعلوا للأم ثلث الباقى فقط.

أما تقسيم السدس فلسبعة هم: الأب، الجد، الأم، ولد الأم، بنت الابن، الأخت لأب {وَإِنْ كَانَتْ وَاحِدَةً فَلَهَا النِّصْفُ وَلِأَبَوَيْهِ لِكُلِّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا السُّدُسُ مِمَّا تَرَكَ إِنْ كَانَ لَهُ وَلَدٌ}.

قلبت الصفحة التالية عند جدتى فوجدت آيات المواريث الثلاث فى سورة النساء أرقام ١١، ١٢، ١٧٦ وكتبت على الصفحة نسب التقسيم ووضعت بعد كل آية كسر الفرض.

{يُوصِيكُمُ اللَّهُ فِي أَوْلَادِكُمْ لِلذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ الْأُنْثَيَيْنِ} (٢/١)

فَإِنْ كُنَّ نِسَاءً فَوْقَ اثْنَتَيْنِ فَلَهُنَّ ثُلُثَا مَا تَرَكَ (٣/١)

وَإِنْ كَانَتْ وَاحِدَةً فَلَهَا النِّصْفُ (٢/١)

وَلِأَبَوَيْهِ لِكُلِّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا السُّدُسُ مِمَّا تَرَكَ إِنْ كَانَ لَهُ وَلَدٌ (٦/١)

فَإِنْ لَمْ يَكُنْ لَهُ وَلَدٌ وَوَرِثَهُ أَبَوَاهُ فَلِأُمِّهِ الثُّلُثُ (٣/١)

فَإِنْ كَانَ لَهُ إِخْوَةٌ فَلِأُمِّهِ السُّدُسُ (٦/١)

مِنْ بَعْدِ وَصِيَّةٍ يُوصِي بِهَا أو دَيْنٍ آبَاؤُكُمْ وَأَبْنَاؤُكُمْ لَا تَدْرُونَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ لَكُمْ نَفْعًا فَرِيضَةً مِنَ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا

وَلَكُمْ نِصْفُ مَا تَرَكَ أَزْوَاجُكُمْ إِنْ لَمْ يَكُنْ لَهُنَّ وَلَدٌ (٢/١)

فَإِنْ كَانَ لَهُنَّ وَلَدٌ فَلَكُمُ الرُّبُعُ (٤/١)

مِمَّا تَرَكْنَ مِنْ بَعْدِ وَصِيَّةٍ يُوصِينَ بِهَا أو دَيْنٍ

وَلَهُنَّ الرُّبُعُ مِمَّا تَرَكْتُمْ إِنْ لَمْ يَكُنْ لَكُمْ وَلَدٌ(٤/١)

فَإِنْ كَانَ لَكُمْ وَلَدٌ فَلَهُنَّ الثُّمُنُ (٨/١)

مِمَّا تَرَكْتُمْ مِنْ بَعْدِ وَصِيَّةٍ تُوصُونَ بِهَا أو دَيْنٍ

وَإِنْ كَانَ رَجُلٌ يُورَثُ كَلَالَةً أو امْرَأَةٌ وَلَهُ أَخٌ أو أُخْتٌ

فَلِكُلِّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا السُّدُسُ}. (٦/١)

فَإِنْ كَانُوا أَكْثَرَ مِنْ ذَلِكَ فَهُمْ شُرَكَاءُ فِي الثُّلُثِ مِنْ بَعْدِ وَصِيَّةٍ يُوصَى بِهَا أو دَيْنٍ غَيْرَ مُضَارٍّ وَصِيَّةً مِنَ اللَّهِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَلِيمٌ (النساء – ١١، ١٢).

يَسْتَفْتُونَكَ قُلِ اللَّهُ يُفْتِيكُمْ فِي الْكَلَالَةِ

إِنِ امْرُؤٌ هَلَكَ لَيْسَ لَهُ وَلَدٌ وَلَهُ أُخْتٌ

فَلَهَا نِصْفُ مَا تَرَكَ وَهُوَ يَرِثُهَا إِنْ لَمْ يَكُنْ لَهَا وَلَدٌ (٢/١)

فَإِنْ كَانَتَا اثْنَتَيْنِ فَلَهُمَا الثُّلُثَانِ مِمَّا تَرَكَ (٣/٢)

وَإِنْ كَانُوا إِخْوَةً رِجَالًا وَنِسَاءً

فَلِلذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ الْأُنْثَيَيْنِ (٢/١)

obeikandl.com

يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ أَنْ تَضِلُّوا وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ}.سورة النساء آية: ١٧٦.

إن المصالح بين البشر، مشتركة، لا يعلمها إلا الله، وإن سلامة الأفراد فيما بينهم، هو العدل بما أنزل الله سبحانه وتعالى، وإن الخطأ ممتد على الآخرين، فادفع الخطأ عن الغير يسلم الجميع من الأذى، ها هى روحك يا جدتى أجدها فى كل ما حولى صدق رسول الله فعن أبى هريرة أن رسول الله قال: «إذا مات ابن آدم انقطع عمله إلا من ثلاث صدقة جارية، أو علم ينتفع به، أو ولد صالح يدعو له»، ها أنت تركت خلفك علما وإلى الله إليه ندعو، و حسناتك فى علمك بدر، فرحمة الله على موتانا خير سلف لخير خلف.

obeikandl.com

المقال الثانى
أحوال البَعْل (١)

فتحت أتابع ما كتبته جدتى فيما تركته لى، فقلت باسم الله الرحمن الرحيم، وهكذا علمتنى جدتى أن ابدأ دوما عملى بقول بسم الله الرحمن الرحيم، وأن أقرأ فاتحة الكتاب كى استفتح بها عملى، فمن يعتد على الشيء يصبح سمة متلازمة، حسبما اعتاد الإنسان من تكرار فى حياته، فإن العادات تكتسب من المكررات جرياً على ما اعتدت عليه فى الدنيا، عَنْ أَبِى هُرَيْرَةَ قَالَ : قَالَ رَسُول اللَّه صَلَّى اللَّه عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: « الْحَمْد لِلَّهِ رَبّ الْعَالَمِينَ سَبْع آيَات : بِسْم اللَّه الرَّحْمَن الرَّحِيم إِحْدَاهُنَّ وَهِى السَّبْع الْمَثَانِى وَالْقُرْآن الْعَظِيم وَهِى أُمّ الْكِتَاب وَفَاتِحَة الْكِتَاب» تناولت الرسالة ورأيتها معنونة، أحوال البَعْل، وكان من عادة جدتى ان تكتب عن المفردات فوجدت على الهامش أن كلمة بَعْل أو البَعْل بمعنى الزَّوج : **{وَإِنِ امْرَأَةٌ خَافَتْ مِنْ بَعْلِهَا نُشُوزًا أو إِعْرَاضًا فَلاَ جُنَاحَ عَلَيْهِمَا أَنْ يُصْلِحَا بَيْنَهُمَا صُلْحًا}** . (النساء: ١٢٨). **{وَلاَ يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلاَّ لِبُعُولَتِهِنَّ}**.(النور: ٣١) وقد وجدت جدتى ايضا سجلت على الهامش أن كلمة بعل اسم صَنَم من أصنام العرب فى الجاهليّة عبَده قومُ إلياس **{أَتَدْعُونَ بَعْلاً وَتَذَرُونَ أَحْسَنَ الْخَالِقِينَ}**.(الصافات: ١٢٥)، ووجدت بعضا من المتفرقات التالية (استبعل بمعنى استبعل الرّجل للمرأة أى صار زوجًا لها، ابْتَعَلَت المرأَةُ أى حَسُنَت طاعتُها لزوجها، و البَعْلَةُ تعنى الزوجة و استبعل أى بمعنى تزوج).

حين كتبت جدتى أحوال البعل رأيت العبارة التالية ملخصة أحوال البعل: له النصف إذا لم يكن لزوجته فرع وارث، وله الربع إذا كان لزوجته فرع وارث).

وقد كتبت جدتى أن أحوال الزوج الذى توفيت عنه زوجته له حالتان:

الحالة الأولى عندما لا يوجد له فرع وارث (عند عدم الفرع الوارث) والعدم

هـو ضـد الوجـود، يقـول الله تعـالى: **{وَلَكُمْ نِصْفُ مَا تَرَكَ أَزْوَاجُكُمْ إِنْ لَمْ يَكُنْ لَهُنَّ وَلَدٌ}**، (النسـاء: ١٢). وهـو مـا يعنـى أن عنـد وفـاة الزوجـة وليـس لهـا أبنـاء وهـم الفـرع الـوارث لهـا سـواء كانـوا منـه أو مـن غـيره فللـزوج نصـف المـيراث.

أمـا مـا فـى الآيـة التاليـة **{فَإِنْ كَانَ لَهُنَّ وَلَدٌ فَلَكُمُ الرُّبُعُ مِمَّا تَرَكْنَ}**. فـإن للـزوج الربـع عنـد وفـاة الزوجـة إن كان للزوجـة فـرع وارث ولـد أو ولـد ابـن وإن سـفل (سَـفَلَ فـى الشـيءِ : نَـزَلَ مـن أَعـلاهُ إلى أَسـفلِه) أى مـا يأتـى فـى سلسـلة الورثـة .

وقلبت الصفحة فوجدت أربع ملاحظات سجلتها جدتى:

الملاحظـة الأولى : عندمـا تتوفـى الزوجـة ولهـا زوج وأخ شـقيق، يسـتحق الـزوج النصـف فرضـا لأنـه مـن الورثـة الذيـن لهـم أنصبـة مقـدَّرة فـى القـرآن أو فى السُّـنّة أو بالإجمـاع، وهـم اثنـا عشـر شـخصًا: الـزَّوج، الزَّوجـة، الأب، الأمّ، الجـدّ الصحيـح، الجـدّة الصحيحـة، البنـت، بنـت الابـن، الأخ لأم، الأخـت الشـقيقة، الأخـت لأب، الأخـت لأمّ) أمـا الأخ الشـقيق يسـتحق الباقـى تعصيبـا ومعنـى التَّعْصيـبُ (فـى الفـروض) هـو توريـثُ العَصَبـة أى مـن هـم بالعصـب.

الملاحظـة الثانيـة : عندمـا تتوفـى الزوجـة ولها زوج وأب، يسـتحق الـزوج النصف لعـدم الفـرع الـوارث أى لا يوجـد فـرع وارث لهـا ويكـون لـلأب الباقـى تعصيبـا.

الملاحظـة الثالثـة : عندمـا تتوفـى الزوجـة عـن زوج وابـن ابـن، فللـزوج الربـع فرضـا لوجـود الفـرع الـوارث ولابـن الابـن الباقـى.

الملاحظـة الرابعـة : عندمـا تتوفـى الزوجـة عـن زوج وابـن وبنـت، فللـزوج الربـع فرضـا لوجـود الفـرع الـوارث وللابـن الباقـى تعصيبـا للذكـر مثـل حـظ الانثيـين.

وهنـا أفرغـت مـا قـرأت ودعـوت لجدتـى فقـد أوصتنـى بالدعـاء وكانـت تذكرنـى بالآيـة **{وَالَّذِينَ جَاؤُوا مِن بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ}. (١٠) سورة الحشر)**. فالدعـاء ينفـع الميـت بإجمـاع المسـلمين. وهكـذا الصدقـة عنـه. فـإذا دعـا لـه أقاربـه أو غـير أقاربـه ينفعـه ذلـك، وهكـذا الصدقـة عنـه والحـج عنـه والعمـرة كل هـذا ينفعـه، ويـزاد مـن حسـناته ويثقـل ميزانـه. فادعـوا لموتاكـم.

المقال الثالث
أحوال البَعْلة (٢)

بسم الله الرحمن الرحيم {لِلَّهِ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ يَخْلُقُ مَا يَشَاء يَهَبُ لِمَنْ يَشَاء إِنَاثًا وَيَهَبُ لِمَن يَشَاء الذُّكُورَ، أويُزَوِّجُهُمْ ذُكْرَانًا وَإِنَاثًا وَيَجْعَلُ مَن يَشَاء عَقِيمًا إِنَّهُ عَلِيمٌ قَدِيرٌ}.(الشور: ٤٩ – ٥٠). جلست أقلب فى أوراق جدتى ورسائلها الذكية العطرة وترحمت عليها، وبعد تلاوة الفاتحة والدعاء لها، جلست أتدبر الآية التى كتبتها جدتى فى مقدمة أحوال البعلة **{يَهَبُ لِمَنْ يَشَاء إِنَاثًا وَيَهَبُ لِمَن يَشَاء الذُّكُور}**. لعلَّ منشأ تقديم الإناث له حكمة فى تعديل ثقافة الجاهلية حيث كانت تعتبر أن الإناث بلاء ونقمة وقال الله فى ذلك: **{وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُمْ بِالأُنثَى ظَلَّ وَجْهُهُ مُسْوَدًّا وَهُوَ كَظِيمٌ * يَتَوَارَى مِنَ الْقَوْمِ مِن سُوءِ مَا بُشِّرَ بِهِ }**.(النحل: ٥٨ – ٥٩)، فجاءت الآية الكريمة لتصحيح تلك الثقافة، يلاحظ أن كلمة هبة اقترنت فى وصف الأنثى، والهبة تعنى الخير، فوصف القرآن للأنثى بالهبة كان دليلا على الخير والنفع، أما لو قدم الذكور على الإناث فى المقام بالآية لتوهم المتلقى أن الأنثى بلاء وذلك لمستوى ثقافة الجاهلية، ويلاحظ أن إرادة الإنجاب تخضع لمشيئة الله وحده، فرغم أن رغبة الإنسان غالبا ما تتعلق بالذكور دون الإناث إلا أن ذلك ليس خاضعا لرغبته، فهى لله وحده، فالأمر بيد الله وإرادته وليس بتقدير بشر، وإلا لكان مريدا للذكور دون الإناث أو تقليل الإناث، سبحانك ربى، وحين كنت أفكر فى مسالة الذكور والإناث والأبناء مرت أمامى آية: **{آبَاؤُكُمْ وَأَبْنَاؤُكُمْ لَا تَدْرُونَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ لَكُمْ نَفْعًا}**.(النساء: ١١)، وقد وجدت ملاحظة لجدتى فقالت يا بنى إن قرأت سورة النساء فتعلم فضلها، وقد سجلت لك ذلك فى نهاية الكتاب، واعلم أن سورة النساء يطلق عليها سورة النساء الكبرى وأن سورة الطلاق تسمى سورة النساء الصغرى ولا تنس آيات خمس فى النساء فقد روى الطبرانى عن عبد الله بن مسعود رضى الله

عنه، قال: (إن فى النساء لخمس آيات ما يسرنى بهن الدنيا وما فيها، وقد علمت أن العلماء إذا مروا بها يعرفونها. **{إن تجتنبوا كبائر ما تنهون عنه نكفر عنكم سيئاتكم وندخلكم مدخلا كريما}. (النساء:٣١)**، وقوله: **{إن الله لا يظلم مثقال ذرة وإن تك حسنة يضاعفها ويؤت من لدنه أجرا عظيما}.النساء:٤٠**، وقوله: **{إن الله لا يغفر أن يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء}. النساء: ٤٨. {ولو أنهم إذ ظلموا أنفسهم جاءوك فاستغفروا الله واستغفر لهم الرسول لوجدوا الله توابا رحيما }.النساء:٦٤** وقوله: **{ومن يعمل سوءا أو يظلم نفسه ثم يستغفر الله يجد الله غفورا رحيما}. (النساء:١١٠)**. قال الهيثمى: رجاله رجال الصحيح.

قلبت فى صفحات جدتى فوجدت الرسالة الثالثة، وتختص بأحوال البعلة، وهى الزوجة لو مات عنها زوجها، فوجدت أن للزوجة أو الزوجات حالتين، هما الربع أو الثمن، الأولى فى عدم وارث والثانية فى وجود وارث.

فى حالة عدم وجود الفرع الوارث كالولد أو ولد الابن وإن سفل لقول الله تعالى **{وَلَهُنَّ الرُّبُعُ مِمَّا تَرَكْتُمْ إِنْ لَمْ يَكُنْ لَكُمْ وَلَد}**.وهذا يعنى أن للزوجة التى يتوفى عنها زوجها الربع سواء زوجة أو عدة زوجات، فإن كانت واحدة أخذت الربع وإن كن عدة زوجات اشتركن فى الربع بالتساوى.

الحالة الثانية **فَإِنْ كَانَ لَكُمْ وَلَدٌ فَلَهُنَّ الثُّمُنُ** ففى الآية يوزع الثمن عند وجود الفرع الوارث، فإن كانت واحدة أخذته كاملا وإن كن عدة زوجات اشتركن.

وكعادة جدتى تركت أسفل الحالتين ملاحظات أربع: إذا توفى الزوج عن زوجتين وأخ شقيق، وإذا توفى عن زوجة وأب، وإذا توفى عن ثلاث زوجات وابن وبنت، وإذا توفى عن زوجة وابن ابن

أربع ملاحظات تركتها، ففى الأولى (إذا توفى الزوج عن زوجتين)، يكون نصيب الزوجتين الربع فرضا ويقسم بالتساوى فيما بينهما لعدم وجود فرع وارث، والباقى يكون للأخ الشقيق تعصيبا.

والحالة الثانية (وإذا توفى عن زوجة وأب) فللزوجة الربع فرضا وذلك لعدم وجود الفرع الوارث، أما الأب فله الباقى تعصيبا.

وأما الحالة الثالثة (عند ما يتوفى الزوج عن ثلاث زوجات وابن وبنت) فللزوجات الثلاث الثمن فرضا يقسم بالتسوية فيما بينهن لوجود الفرع الوارث والابن والبنت تعصيبا وللذكر مثل حظ الانثيين ولهم الباقى بعد توزيع الثمن.

أما الحالة الرابعة والتى (يتوفى الزوج عن زوجة وابن ابن) فللزوجة الثمن فرضا لوجود فرع وارث والباقى يوزع على ابن الابن ولابن الابن تعصيبا.

لقد أدركت أن جدتى كانت تعلمنى المفردات وبقدر ما نجمع من الكلمات نضيء صندوق العقل بداخلنا، فبدون معرفة معنى الكلمة المفردة فى سياق العبارة لا تم تحديد المقصود، وأن القصد فى الكتابة لا إبرام فى تقديره، ومن هنا جاء التوثيق، إن النطق بالمعانى المزدوجة وغير المحددة يخفى كثيرا من النوايا ولا يعبر عن مكنون النفس الحقيقى، فقد ينطق ما يخالف ما فى الصدور، فما أصعب نطق الحروف وربط النوايا.

إن مواثيق البشر الوضعية قد تخدم مصالحهم على قدر نواياهم، ومهما أوتينا من معرفه وقدره لفهم الآخرين لا يمكن تحديد هوية فكر الآخر وما يفكر به، والله وحده بعلمه التام محيط بجميع الأشياء جليلها و حقيرها صغيرها وكبيرها دقيقها ولطيفها، ليحذر الناس علمه فيهم، فيستحيوا من الله حق الحياء، ويتقوه حق تقواه، ويراقبوه مراقبة من يعلم أنه يراه، فإنه تعالى يعلم العين الخائنة وإن أبدت أمانة، ويعلم ما تنطوى عليه خبايا الصدور من الضمائر والسرائر. **{يعلم خائنة الأعين وما تخفى الصدور}**.(غافر: ١٩) صدق الله العظيم، يرحمك الله يا جدتى، اللهم ثبتنى بالقول الثابت فى الحياة الدنيا وفى الآخرة.. نسأل الله تعالى أن يثبتنا ووالدينا عند السؤال، ويهون علينا وحدة القبر ووحشته، ويغفر لنا، ويرحمنا، وأن يرزقنا الجنة بغير حساب.

obeikandl.com

المقال الرابع
الأبوان ـ الأصول

وَوَرِثَهُ أَبَوَاهُ:

استيقظت من نومى حيث آذان افجر، فحمدت الله وشكرته وقلت: الحمد لله الذى أحيانا بعد أن أماتتا وإليه النشور الحمد لله الذى عافانى فى جسدى ورد على روحى وأذن لى بذكره، ونهضت من فراشى وذهبت لأتوضأ، وقبل دخول بيت الخلاء قلت: «**اللّهُمَّ إِنِّى أَعوذُ بِكَ مِنَ الْخُبْثِ وَالْخَبائِث**». وقد علمتنى جدتى أنه عند الوضوء يكون الوضوء فى مكان بعيد عن دار الخلاء وأن أسمى فى أول الوضوء وإن نسيت أقول فى أثنائه، وبعد الانتهاء من الوضوء يستحب قول: «**أشهد أن لا اله إلا الله وحده لا شريك له، وان محمدا عبده ورسوله، وبعد الوضوء أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمدا عبده ورسوله اللهم اجعلنى من التوابين واجعلنى من المتطهرين، سبحانك اللهم وبحمدك، أشهد أن لا إله إلا أنت، أستغفرك وأتوب إليك**»، وبعدها ذهبت لأصلى وعلمتنى أن لكل صلاة مفروضة صلاة سنة وهى ركعتان سنة قبل صلاة الفجر، وركعتان سنة قبل وبعد صلاة الظهر، وركعتين قبل العصر وركعتان سنة بعد صلاة المغرب، وركعتان سنة بعد صلاة العشاء، وهناك صلاة الوتر بعد العشاء وهى إما واحدة أو ثلاث أو خمس أو سبع أو تسع، وهى من الرواتب: ومعنى السُّنن الرَّواتب : الصَّلوات المسنونة الثابتة التَّابعة للفرائض، وعلمتنى كذلك عند التكبيرة الأولى فى الصلاة والتى تسمى تكبيرة الإحرام أن أقول دعاء الاستفتاح: «**سبحانك اللهم وبحمدك، وتبارك اسمك، وتعالى جدك، ولا إله غيرك**»، وبعد الانتهاء من الصلاة «**أَسْتَغْفِرُ الله (ثَلاثاً)أستغفرُالله، أستغفرُالله، أستغفرُالله، اللهم أنتَ السلامُ ومنكَ السلامُ، تباركتَ يا ذا الجلالِ والإكرام.لا إلهَ إلاّ اللّهُ وحدَهُ لا شريكَ لهُ، لهُ المُلْكُ ولهُ الحَمْد، وهوَ على كلّ شَيءٍ قَدير، اللّهُمَّ لا مانِعَ لِما أَعْطَيْت، وَلا مُعْطِى لِما مَنَعْت، وَلا يَنْفَعُ**

ذا الجَدِّ مِنْكَ الجَد». وأن أقرأ آية الكرسى **{اللّهُ لاَ إِلَـهَ إِلاَّ هُـوَ الْحَى الْقَيُّومُ لاَ تَأْخُذُهُ سِنَةٌ وَلاَ نَوْمٌ لَّهُ مَا فِى السَّمَاوَاتِ وَمَا فِى الأَرْضِ مَن ذَا الَّذِى يَشْفَعُ عِنْدَهُ إِلاَّ بِإِذْنِهِ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلاَ يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِّنْ عِلْمِهِ إِلاَّ بِمَا شَاء وَسِعَ كُرْسِيُّهُ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ وَلاَ يَؤُودُهُ حِفْظُهُمَا وَهُوَ الْعَلِى الْعَظِيمُ }**. وأن اتبع ذلك بالتسبيح **سُبْحانَ اللهِ، (٣٣ مرة) والحَمْدُ لله (٣٣ مرة)، واللهُ أكْبَر(٣٣ مرة) ثم يكمل المائة بقوله «لا إلهَ إلاّ اللّهُ وَحْدَهُ لا شريكَ لهُ، لهُ الملكُ ولهُ الحَمْد، وهُوَ على كُلّ شَيءٍ قدير**. وعند خروجى من المسجد على أن أقول: **بسم الله والصلاة والسلام على رسول الله، اللهم إنى أسألك من فضلك، اللهم اعصمنى من الشيطان الرجيم.**

عدت للبيت أتصفح كتاب جدتى فوجدت الرسالة الرابعة معنونة: وورثه أبواه، فبحثت عن الآية التى تشمل على العنوان فوجدتها فى صورة النساء **{يُوصِيكُمُ اللَّهُ فِى أَوْلَادِكُمْ لِلذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ الْأُنْثَيَيْنِ فَإِنْ كُنَّ نِسَاءً فَوْقَ اثْنَتَيْنِ فَلَهُنَّ ثُلُثَا مَا تَرَكَ وَإِنْ كَانَتْ وَاحِدَةً فَلَهَا النِّصْفُ وَلِأَبَوَيْهِ لِكُلِّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا السُّدُسُ مِمَّا تَرَكَ إِنْ كَانَ لَهُ وَلَدٌ فَإِنْ لَمْ يَكُنْ لَهُ وَلَدٌ وَوَرِثَهُ أَبَوَاهُ فَلِأُمِّهِ الثُّلُثُ فَإِنْ كَانَ لَهُ إِخْوَةٌ فَلِأُمِّهِ السُّدُسُ مِنْ بَعْدِ وَصِيَّةٍ يُوصِى بِهَا أَوْ دَيْنٍ آبَاؤُكُمْ وَأَبْنَاؤُكُمْ لَا تَدْرُونَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ لَكُمْ نَفْعًا فَرِيضَةً مِنَ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا}**. النساء آية ١١، ورأيت جدتى قد قامت بتفسير مبسط تشرح فيه الآية فكتبت: يوصيكم الله ويأمركم فى شأن أولادكم : إذا مات أحد منكم وترك أولادًا : ذكورًا وإناثًا، فميراثه كله لهم : للذكر مثل نصيب الأنثيين، إذا لم يكن هناك وارث غيرهم. فإن ترك بنات فقط فللبنتين فأكثر ثلثا ما ترك، وإن كانت ابنة واحدة، فلها النصف. ولوالِدَى الميت لكل واحد منهما السدس إن كان له ولد: ذكرًا كان أو أنثى، واحدًا أو أكثر. فإن لم يكن له ولد وورثه والداه فلأمه الثلث ولأبيه الباقى. فإن كان للميت إخوة اثنان فأكثر، ذكورًا كانوا أو إناثًا، فلأمه السدس، وللأب الباقى ولا شيء للإخوة. وهذا التقسيم للتركة إنما يكون بعد إخراج وصية الميت فى حدود الثلث أو إخراج ما عليه من دَيْن. آباؤكم وأبْناؤكم الذين فُرِض لهم الإرث لا تعرفون أيهم أقرب لكم نفعًا فى دنياكم وأخراكم، فلا تفضلوا واحدًا منهم على الآخر. هذا الذى أوصيتكم به مفروض عليكم من الله. إن الله كان عليمًا بخلقه، حكيمًا فيما شرعه لهم. وكتبت تحت الآيات أحوال الأب ثلاث، وهى ما يعنى أنه عند وفاة الرجل المتزوج، فإن الأب له إن كان حيا يرث

فى ثلاث حالات: الحالة الأولى يرث السدس فرضا فقط كما ذكر بالآية، عند وجود الفرع الوارث المذكر الابن وابن الابن وإن سفل كما فى الآية: **{وَلِأَبَوَيْهِ لِكُلِّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا السُّدُسُ مِمَّا تَرَكَ إِنْ كَانَ لَهُ وَلَدٌ}**.أما الحالة الثانية التى يرث الأب السدس فرضا وَلِأَبَوَيْهِ لِكُلِّ وَاحِدٍ مِّنْهُمَا السُّدُسُ مِمَّا تَرَكَ والباقى تعصيبا وذلك مع الفرع الوارث المؤنث / البنت وبنت الابن وان نزل، فيأخذ سدسا فرضا ويأخذ ما بقى بعد أصحاب الفروض تعصيبا، أما الحالة الثالثة، عند عدم الفرع الوارث ذكورا أو إناثا فيرث الأب بالتعصيب فقط فيرث جميع التركة إذا انفرد أو الباقى بعد فرض غيره.

تساءلت بين نفسى ماذا لو مات عن أب وابن ابن، أو هلك عن أب وبنت، أو توفى عن زوجة وأب، أو توفى عن أب فقط، وإذا بى أقلب الصفحة التالية، فوجدت جدتى سجلت تلك الملاحظات:

ففى حالة أن مات الزوج عن أب وابن ابن، فيكون للأب السدس فرضا وَلِأَبَوَيْهِ لِكُلِّ وَاحِدٍ مِّنْهُمَا السُّدُسُ مِمَّا تَرَكَ لوجود الفرع الوارث الذكر، والباقى لابن الابن تعصيبا.

وفى حالة أن هلك عن أب وبنت، فللبنت النصف فرضا وللأب السدس فرضا **{وَإِن كَانَتْ وَاحِدَةً فَلَهَا النِّصْفُ وَلِأَبَوَيْهِ لِكُلِّ وَاحِدٍ مِّنْهُمَا السُّدُسُ مِمَّا تَرَكَ}**. والباقى تعصيبا لوجود الفرع الوارث المؤنث.

وفى حالة ما إن توفى عن زوجه وأب، فللزوجة الربع لعدم الفرع الوارث وَلَهُنَّ الرُّبُعُ مِمَّا تَرَكْتُمْ إِن لَّمْ يَكُن لَّكُمْ وَلَدٌ وللأب الباقى تعصيبا.

فى حالة توفى الزوج عن أب فقط، فإنه يأخذ التركة كلها تعصيبا لانفراده وهو العصبة الوحيد، وقد وجدت ملاحظة كتبتها جدتى، عن وجود الأب أو الأم فى حالة توفى الزوج أو الزوجة، فإن دخول الأب والأم مع أحد الزوجين فى الميراث أى زوجة وأم وأب، وزوج وأب وأم. وتكون الأم مع أحد الزوجين ومع الأب يكون فرضها ثلث الباقى وليس الثلث مطلقاً. **{فَإِن لَّمْ يَكُن لَّهُ وَلَدٌ وَوَرِثَهُ أَبَوَاهُ فَلِأُمِّهِ الثُّلُثُ}**، وهو ما يطلق عليه المسألتين الغراوين أو العمريتين وسميتا بذلك لأن أول من قضى فيها هو الفاروق عمر بن الخطاب والغرة، يعنى : كأنها شامة على الجبين بيضاء تظهر لشهرة هذه المسألة، ولا بد أن

يكـون فيهـا أم وأب وزوج أو زوجـة، يعنـى : لا بـد أن يدخـل أحـد الزوجـين، وقـد سـجلت جدتـى معنـى كلمـة أَبٌ : جمـع : آبـاءٌ. [أ ب و]. : الأبُ كَلِمَـةٌ مِـنَ الأَسْمَـاءِ الخَمْسَـةِ، إِعْرَابُهَـا بالحَـرْفِ لاَ بالحَرَكَـةِ، أى تُرْفَـعُ بِالـوَاوِ وَتُنْصَـبُ بِالأَلِـفِ وَتُجَـرُّ بِاليَـاء. أمـا كلمـة أبّ فهـى تعنـى عُشْـبٌ وكَلأ، الرَّطـب منـه واليابـس. **{وَفَاكِهَةً وَأَبًّا}**. ، توقفـت قليـلا ودونـت علـى الصفحـة كلمـا تَعَلَّمْـتَ عَلِمْـتَ فَعَلِمْـتَ أَنْـى أَجْهَـلْ، سـبحانك ربـى ربنـا لا تؤاخذنـا إن نسـينا أو أخطأنـا، ربنـا و لا تحمـل علينـا إصـرا كمـا حملتـه علـى الذيـن مـن قبلنـا، ربنـا و لا تحملنـا مـا لا طاقـة لنـا بـه، واعـف عنـا و أغفـر لنـا و أرحمنا,أنـت مولانـا فانصرنـا علـى القـوم الكافريـن. – اللهـم أصلـح لى دينـى الـذى هـو عصمـة أمـرى و أصلـح لى دنيـاى التـى فيهـا معاشـي، أصلـح لى آخرتـى التـى فيهـا معـادي، و اجعـل الحيـاة زيـادة لى فـى كل خـير، و اجعـل المـوت راحـة لى مـن كل شـر. – اللهـم اغفـر لى و ولوالـدى و لأصحـاب الحقـوق علـى و لمـن لهـم فضـل علـي، و للمؤمنـين وللمؤمنـات والمسـلمين و المسـلمات عـدد خلقـك و رضـاء نفسـك و زنـة عرشـك و مـداد كلماتـك.

openkandl.com

المقال الخامس
على أطراف الغرفة المظلمة

جلست فى الجهة المقابلة للغرفة الأخيرة من دوار البيت القديم، جلست القرفصاء وتضع فى حجرها خيوطا، وفى يدها الأخرى المغزل الذى صنعته من أخشاب النبق المنتشرة، حيث كانت تقوم ببرم شعر الصوف، لتصنع لنا نحن الصغار ما يحمينا من برد الشتاء القادم، جلست ألهو كعادتى وأنا أنظر إليها فى تعجب حين أحاول أن أرتطم بباب الغرفة الأخيرة، وهى غرفه مغلقة لا تفتح أبدا فقلت لها: لم لا تفتحين هذه الغرفة يا جدتى؟ قالت: يا بنى لا تفتح بابا لا تعرف ما بَداخله، ولا تطرق بابا دون أن تعرف ما ينتظرك، فإن خلف الأبواب أسرار عظيمة، وان من يبحث عن السر كمن يبحث عن سوءة الآخرين، فدع ما خلف الباب لما بداخله، ومن باب فضول الطفولة فالفضول طفل كبير لا يقاوم بداخله ما يريد الوصول إليه حتى وإن كان ضارا، و مازالت جدتى تغزل بأصابعها وأداتها المغزلية وتنشد أبياتا من الشعر:

يا غَـزَلا من يَغزِلك ... إن الهـوى فيـك يفتلـك
كم فتل من الخيـط ... وكـم منـه تـأوه يغزلـك
كم من أصبع يغزل ... وكـم أصبـع منـه يهلـكك

لقد كانت جدتى كعادة بعض النساء تتمتم بكلماتها وكان الشعر والغناء الفطرى يساعدهن أثناء عملهن فى الغزل، وكانت دقيقة فى غزلها لدرجة كبيرة وتضعه بجانبها بدقة وتسحب الخيوط بشكل متناسق، وكنت حين أريد أن أمازح جدتى كنت آخذ بعضا من الخيوط وأخفيها، فتقول لى: يا بنى، لا تنقض الغزل كمن ينقض عقله ويملا فيه الهوى، فإن خيوط الغزل إذا نقضت ضاع منك العقل لبئر سحيق هوى، فإن نقض العقول كنقض العهود، فقلت

لهـا: مـا معنـى هـذا؟ فقالـت: ألا تعلـم شـيئا عـن خرقـاء مكـة، فقلـت، ومازالـت عينـى علـى البـاب المعتـم،: ومـن هـى يـا جدتـى؟ فقالـت: كانـت تغـزل غزلهـا فـإذا أبرمـت غزلهـا تنقضـه، وقـد سميـت جعرانـه لحماقتهـا وكانـت بهـا وسوسـة، وكانـت خرقـاء العقـل ولهـا جـوار فكانـت تغـزل هـى وجواريهـا مـن الغـداة إلى الظهـر ثـم تأمرهـن فتنقـض مـا غزلتـه وكانـت تفعـل ذلـك كل مـرة، فقلـت لهـا: يـا جدتـى أمـا كان هنـاك مـن يصحـح لهـا، فقالـت يـا بنـى إن مـن الأدب أن نصحـح الأخطـاء دون التشـهير أو انتقـاص الأشـخاص؛ فـإن مـن الضعـف أن نتهـم الآخريـن بنياتهـم ونقصهـم وإن النوايـا لا يمكـن قياسـها دون الحجـة وهـو دليـل افـلاس الفكـر والحكمـة وهـو خلـق الجهـال، وانظـر وتأمـل الآيـة التاليـة **{كَالَّتِى نَقَضَتْ غَزْلَهَا مِن بَعْدِ قُوَّةٍ أَنكَاثًا} .(النحل: ٩٢)**. إن مـن يقـوم بعمـل يتعـب فيـه ثـم يفسـده كمـن ينقـض عهـده وهـو مـا شـبهه الله فـى الآيـة، فـإن نقـض العهـود والعقـود المبرمـة والمتفـق عليهـا وعـدم الوفـاء بهـا دون مـبرر أو سـبب مقبـول يعـد مـن الرعونـة أو الحمـق، كنقـض المـرأة غزلهـا مـن بعـد مـا أبرمتـه وأتقنتـه، فـلا تعبـث بالخيـط وأعـد لى مـا أخذتـه ودعنـى وشـأنى.

فقلـت لهـا: لـن أتـركك يـا جدتـى مـن قبـل أن تقـولى لى مـا خلـف الغرفـة المظلمـة، فقالـت لى: اذهـب عـن وجهـى، ولا تسـأل كثـيرا، ودع الأمـور تسـير، فقلت لهـا وبإصـرار: لـن أتحـرك مـن قبـل أن تعلمينـى، قلتهـا وأنـا خائـف أن تنهرنـى أو تضربنـى بعصاهـا المعهـودة التـى تتحـرك بهـا دومـا، فقالـت لى: هـل حفظـت شـيئا مـن القـرآن؟ فقلـت لهـا: نعـم، فقالـت: مـاذا قـرأت وحفظـت؟ أسمعنـى، وقـد كانـت بالأمـس جدتـى قالـت لى: أحفـظ مـن سـورة العنكبـوت خمسـة آيـات مـن الآيـة ٤١ حتـى ٤٥، ومـا كنـت أعلـم أن جدتـى حـادة الـذكاء وكيـف أنهـا كانـت تحفـظ القـرآن، كعـادة كثـير، فقالـت: تعـال بجـوارى واسمعنـى فقـرأت عليهـا أعـوذ بـالله مـن الشـيطان الرجيـم **{مَثَلُ الَّذِينَ اتَّخَذُوا مِن دُونِ اللَّهِ أَوْلِيَاءَ كَمَثَلِ الْعَنكَبُوتِ اتَّخَذَتْ بَيْتًا وَإِنَّ أَوْهَنَ الْبُيُوتِ لَبَيْتُ الْعَنكَبُوتِ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ}**.(العنكبوت: ٤١). فقالـت: توقـف، فتوقفـت وقالـت لى: هـل رأيـت خيـوط العنكبـوت يـا بنـى؟ فقلـت لهـا: نعـم يـا جدتـى. فقالـت لى: هـل رأيـت كيـف ينسـج العنكبـوت؟ فقلـت لهـا: علمينـى، فقالـت: الآن أخـبرك بمـا وراء الغرفـة المظلمـة، إن هـذه الغرفـة لم تفتـح

منذ أن كان جدك، رحمه الله، فقلت: وما بها؟ قالت: بداخلها ظلام وأتربه وعناكب، فقلت: ولم لا تفتحيها؟ فقالت: يا بنى هذه وصية. فقلت: أى وصية هذه تسمح بأن تكون الغرف مغلقة؟ فقالت: يا بنى إن الغرف المغلقة بداخلها كثير من العبر، وقد كانت جدتى إذا لم ننصع إلى أوامرها تحكى لنا قصصا مخيفه، تجعلنا أحيانا نستمع إليها بشغف وأحيانا نهرب إلى النوم. وتركت جدتى غزلها واعتدلت وقالت لى :يا بنى لقد قرأت على الآية ٤١ من سورة العنكبوت وسأوضح لك أن العناكب هو الجانب المخيف يمثل جانبا سيئا فى حياته فهم يتقاتلون، فيما بينهم، وعلاقتهم فيما بينهم هى علاقة لا تتخيلها أنها تنسج خيوطها، مصيدة للفرائس، فلا تثق فى الخيوط الممتدة، فإن الخيوط الممتدة إليك لا تعرف ما بداخلها من النوايا، ان بيت العنكبوت هو أوهن بيت يا بنى، وأكثر البيوت ضعفا وهشاشة، هل تعلم لماذا؟ فقلت لها: ما أدرى يا جدتى، فقالت: يا بنى إن قوة الجماعات فيما يكون بينها من علاقات طيبة، كل يحافظ على غيره، أما العنكبوت فكل منهم يقتل الآخر. إنه الجانب المظلم فى العلاقات القاسية حين تقتل أنثى العنكبوت زوجها وحين يقتل الصغار بعضهم بعضا، فقلت لها: هل يمكن أن تحول إلى بيوت العنكبوت يوما؟ فقالت: يا بنى إن أحسست بقتال وموت فاعلم أنك فى بيت العنكبوت، فقلت لها: وماذا عن الخيوط التى تغزلها؟ فقالت لى: هذا هو العجب الأكبر، إن خيوط العنكبوت إذا جمعتها فى سمك أصبعك تحمل هذا المبنى، فقلت لها أتحكين لى خيالا يا جدتى إنها خفيفة، فقالت يا بنى، إن وصف الآية يتكلم عن بيت العنكبوت فى علاقة هذا البيت فيما بينهم ولا يتكلم عن خيوطه الحريرية التى هى أقوى من الفولاذ إذا نسجت، فتعجبت وقلت لها: كيف يكون لمجتمع العنكبوت بيتا أضعف مما يكون، ويخرج حرائر اقوى مما يكون؟ فقالت لى: إن أنثى العنكبوت تقتل ذكر العنكبوت فور لقاء كل منهما بالآخر، إنها الأنثى الأقوى فى هذا المجتمع العنكبوتى، فإن المرأة العنكبوتية لا تعرف قيما لدور الرجال، فقالت لى لا تعجب، إن الصعاب وإن كان مقاومتها صعبا فان القوة التى تخرج من بعد الضعف لهى قوة تدميرية، وإن الصراع على الشهوات والغريزة ليؤدى إلى انهيار مجتمعى كامل، وإن أنثى العناكب

أقوى من الذكور، لتعلم يا بنى أن صغار العناكب تتقاتل فيما بينها ويأكل بعضهم بعضا، والأنثى ذاتها تأكل صغارها، فهو بيت واهن يا بنى، إن المبادئ الأخلاقية والأسرية إذا سادها الغدر والقسوة صارت كالبيت الواهن كالعنكبوت.

obeikandl.com

المقال السادس
حين يرتبك داخلنا

لم يرتبك الإنسان؟ وما الدافع لهذا الارتباك؟ ومن يربكه؟ إن الارتباك هو أمر طبيعي للبشر وذلك حين يحاسب الضمير الإنسان في تصرف كاذب أو ادعاء مخبأ عن الغير وغالبا ما يكون دافع الارتباك هو الكذب وتغطية المواقف أمام الغير، عندئذ يحركنا الضمير بالارتباك ويدفعنا كذب التسبب، ونسينا أن الرقابة الداخلية إذا أخطأت كذبت وإذا كذبت اضطربت وإذا اضطربت تفقد ثقة الآخرين.

ونطرح على أنفسنا سؤالا هاما ولم كل هذا والحل فينا كامن في قواعد ثابتة في آية واحدة في سورة التوبة آية ١٣ ألا وهي : **أتخشون الناس والله أحق أن تخشوه**، فانظر أيها الإنسان إلى الآية ٧٨ من نفس سورة التوبة **أَلَمْ يَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ سِرَّهُمْ وَنَجْوَاهُمْ وَأَنَّ اللَّهَ عَلَّامُ الْغُيُوبِ** وانظر إلى الآية ٧ من سورة المجادلة **{أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ ۖ مَا يَكُونُ مِن نَّجْوَىٰ ثَلَاثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ وَلَا خَمْسَةٍ إِلَّا هُوَ سَادِسُهُمْ وَلَا أَدْنَىٰ مِن ذَٰلِكَ وَلَا أَكْثَرَ إِلَّا هُوَ مَعَهُمْ أَيْنَ مَا كَانُوا ۖ ثُمَّ يُنَبِّئُهُم بِمَا عَمِلُوا يَوْمَ الْقِيَامَةِ ۚ إِنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ}**.

ولننظر إلى الآيات التالية من سورة الرعد (عالم الغيب والشهادة الكبير المتعال (٩) سواء منكم من أسر القول ومن جهر به ومن هو مستخف بالليل وسارب بالنهار (١٠) له معقبات من بين يديه ومن خلفه يحفظونه من أمر الله إن الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم وإذا أراد الله بقوم سوءا فلا مرد له وما لهم من دونه من وال .

و من كل هذا فان الضمير الحي يحركنا ويدفعنا إلى عقيدة الفطرة بداخلنا ألا نكذب ولم وعلام نفعل الأمر هذا؟ فالكذب يحولنا إلى دمية في أعاصير الهذيان

مـن وحـى الشـيطان يحركنـا كيفمـا شـاء، ونسـينا أنـه إذا تدبـر الإنسـان الآيـات المذكـورة؛ فإنّـه يوقـن أنّ اللّه يـراه ويراقبـه فـى كل حـين، فتعظـم المراقبـة فـى نفسـه، ويجعـل خشـية اللّه فـى قلبـه، فـلا يجـرؤ علـى عصيـان مـولاه الـذى يـراه.

أفبعـد هـذا نكـذب علـى أنفسـنا وعلـى الآخريـن؟! تدبـر فـى نفسـك ولا تخـش الغـير ولا تكـذب ونسـال اللّه خشـيته سـرا وعلنـا وسـبحانك أهـل التقـوى وأهـل المغفـرة.

obeikandl.com

المقال السابع
الحروف المنقوشة

يا للسحر حين يغطى رمش العيون، يا للغبار حين يعكر صفو المرافقين، يا لسحر القلب فى حضور الغائبين، أعود بذاكرتى للطفولة حين وجدت عجوزا على صخرة تجلس تتمتم بكلماتها النحاسية، وكأنها تنفخ فى الترومبيت فتقول كما رويت فى شعرى :

يا عَينُ الدمعِ مَا كَفَى عَطَشٌ ولا سُمْرَ الخُبْزِ مَلئَت به بَطْنا
كم من دعاء بالقلب له طلبٌ وكم من تَوْبٍ غَفَر الله بِه ذَنبا
فيا هوى النفس للخير تطلبُ فإن المحب لا يُرفَضْ له طلبا

وجدتها تحفر فى الأرض، بعصاها الخشبية، التى تحملها مثل ما كانت جدتى تمسك بها، والآن نذهب بها حاملين تابوتها المنقوش، فقلت فى نفسى: أريد أن أتكلم معها، ما بك يا أمنا العجوز؟ فلم ترد على، فقلت: ما بك يا أمنا العجوز؟ فلم ترد، فقلت ما بك يا أمنا العجوز؟ فأشارت إلى التابوت الذى نحمله ووضعناه منذ قليل، كى نفرغ ما به، وقالت لى: انظر لنفسك وما بها و إلى الأحرف السبعة المنقوشة على تابوت جدتك.

نعم إنهم يحملون جدتى التى أشبهها فى كثير، ونودعها، وأتذكر طفولتى معها، وكيف كانت تفضلنى كثيرا، إنها من علمتنى قبل أمى كيف يكون النظام والاتزان، اقتربت من هذه العجوز التى تنتحب البكاء تارة وتصمت تارة، وتبعد عن الحريم بأصواتهن المهمهمة، وحاولت أن أفهم ما يقولون، فها أنا عدت لأدراج الطفولة، كى أتعلم لغة التمائم، ولغة المناغاة، فيا عجبا حين يصدر بداخلنا صوت مهمهم يعلن حزنا، ويبكى هما، فكم من الذاكرة تحوى فى قطار طفولتى دروسا تظل محفورة كما هو محفور على التابوت.

تركت العجوز لحين ننتهى من مراسم توديع جدتى، وقد سبقتها عمتى إلى هذا المكان، ولم أكن أعلم ما بهذا المكان، وما هو، وماذا يعنى، وماذا بعده، ورغم أن البكاء عندى أنا ابن الثانية عشرة على جدتى، فقد كان ملتهبا، وربما كان أقوى من الكبار، ورغم صغرى إلا أننى أشعر فى داخلى بكثير من مدارك الرجال، وكأننى أبلغ الثانية والعشرين، فها أنا أقرأ كتب أشقائى الكبار، وكتبا من مكتبة عمى، ونادرا ما كنت ألتقى بوالدى لانشغاله بأعماله ومسئوليته الكبرى للعائلة بالكامل وكل شئونها، حيث أننى كنت الابن الأكبر بعد أربعة من البنات توفى منهن اثنتان فى ريعان طفولتهما، وكانا آية فى الجمال، ولم أراهما، لقد كان الجمال سمة فى هذه العائلة التى تنحدر إلى الأصول السلوجوقية، حيث كانت جدتنا للجيل الرابع هى فاطمة خاتون، والآن نقوم بمراسم دفن جدتى من نفس السلالة، وبعد أن انتهينا من دفن الجدة، وجدت الدموع قد توقفت عند البعض، وتتحرك عند آخرين، ولم أفهم، ولكننى لاحظت النسوة يقفن فى مجاميع دائرية، لم ينتهين من الكلام سواء كان مفهوما أو غير مفهوم، فهكذا كانت العادات بين الصمت والنواح والبكاء وبين الثرثرة، ووجدت والدى وعمى رحمهما الله، حيث كان عمى قادما من حجة، وكان يحمل جدتى على كتفيه حيث مرضت هناك، فعاد بها بعد انتهاء رحلة الحج، وكان الحج آنذاك مضنيا، ويأخذ وقتا طويلا فى الذهاب والعودة، وقد كان عمى عائدا منذ فترة منهيا دراسته الأوربية، ويتقلد منصبا مرموقا إضافة إلى تدريسه بالجامعة، وكان لدية مكتبة كنت أستغل الوقت فى الاطلاع على الصور بالكتب ولا أفهم فأغلبها بلغة إنجليزية، وهناك داخل المكتبة جزء من مكتبات التراث، وكتب أخرى فى شئون الدين واللغة العربية وكنت فى هذا السن أجيد العربية، فقد اجتزت المرحلة الابتدائية بتفوق كبير ومركز متقدم، وكان يعتبرنى بمقام ابن له .

وفى هذه الأثناء تذكرت العجوز التى تقف بعيدا على منصة قريبة من مكان دفن جدتى تستطيع أن ترى منها كل الجموع، فذهبت إليها، وهنا قالت: ما جاء بك؟ قلت: جئت لأتعلم منك يا جدتى، وظفرت من عينى الدموع حين ناديتها بجدتى والتى فارقت الحياة، وذهبت فى رحله أخرى، وطويت

التراب، فقالت: وماذا تريد؟ قلت لها: أريد أن أفهم، فقالت يا بنى بعد أن أخذت نفسا عميقا وبهمهمة وتمتمة قويه كأنها تسترجع كل الهواء من صدرها، انظر يا بنى، إن هوى النفس ما تمكن منك فان السَبْعة لا تَسمع ولا تُصغى، ولا وازع لردع ما بك، فقلت يا جدتى: ماذا تعنين بالسبعة؟ وما هو هوى النفس؟ رجوتها أن تشرح لى، فقالت: يا بنى إن الهجاء يختلف نطقه ولا يختلف شكله، وان الأيادى حين تعبث لتغير موج الحرف فإن باطن الحرف يحمل فى داخله السعير، فقلت لها: من أين جئت بما تقولين؟ فقالت: يا بنى هل تعلمت أن تقرأ؟ فقلت لها: نعم يا جدتى، وأنا من أوائل دائرتى فى التعليم، قالت: إذن تعلمت الكثير فى حصة التربية الدينية، فقلت لها: نعم، فقالت: أما قرأت وسمعت **{يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ عَن مَّوَاضِعِهِ}**.(النساء: ٤٦). إن التحريف بالقول يا بنى لهو من صفات أقوام يميلون عن الحق ويتأولون بالقول على غير تأويله من هوى النفس، فإن هوى النفس والشيطان متلازمة شاقة تحتاج إلى جهاد كبير.

فقلت لها: يا جدتى من أين أبدا؟ فقالت: ابدأ بنفسك يا بنى، واعلم أن الآية التى قرأتها وتعلمتها فى حصة التربية الدينية **{ولقد خلقنا الإنسان ونعلم ما توسوس به نفسه ونحن أقرب إليه من حبل الوريد}**.(ق: ١٦)، فقلت لها: يا جدتى أعلم أن الشيطان هو الذى يوسوس لنا، فقالت: يا بنى إن النفس توسوس لك قبل الشيطان، فقلت لها وكيف يا جدتى أفرق بين ما يوسوس لى الشيطان وما يوسوس به نفسى؟ فقالت: يا بنى، ألم تقرأ **{وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا*فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا*قَدْ أَفْلَحَ مَنْ زَكَّاهَا*وَقَدْ خَابَ مَنْ دَسَّاهَا}**. (الشمس: ٧–١٠). إن النفس يا بنى هى ميزانك فاحذر هذا الميزان، فإن ميزان النفس إذا اِعْوَجَ أو مَالَ، أطاحَ ما بالكفتين، فالنفس ميزان بكفتين، فاملأ بكفة الخير ما استطعت، تخيل يا بنى أن هذه النفس هى ميزان بكفتين، توزن كل الأعمال على كفتيه، فاملأ كفة ميزانك بالخير إن استطعت، واحذر من حامل الميزان والذى يوجه هذا الميزان، إن من يمسك خيط الميزان بإتقان كمن أفلح بنفسه على ألا تميل، و أما من خاب فقد أَمَالَ ميزانه، إنها النفس الدائمة فى تحريكنا كل يوم حين تهمس فى الأذن، إنها أقوى من السحر يا بنى، فقلت لها وكيف أضبط يا جدتى ميزان نفسى؟

قالت الجدة العجوز وهى تضع إبهام كف يدها اليمنى على عينها اليسرى، : اعلم يا بنى أنه مهما طال المسير فالكل سوف يمر هنا من أمامى كما مرت جدتك منذ قليل، وزادت فى القول أين جدتك الآن؟ قلت لها: إنها انتقلت إلى رحمة الله، فقالت: يا بنى كل ذاهب، وسأعلمك أمرا عليك أن تُحْكِمه ولا تُطْلِق له العنان فانظر إلى الآية **{لا أُقْسِمُ بِيَوْمِ الْقِيَامَةِ (١) وَلا أُقْسِمُ بِالنَّفْسِ اللَّوَّامَةِ}**. (القيامة ١ –٢). يا بنى هل تعلم من هى نفسك اللوامة؟ انتبه لما أقول، النفس اللوامة تلومك فى الخير والشر، فإن عملت خيرا تقول لك لمَّ لَمْ تُزِدْ، وان عملت شرا تقول لك ليتك قصرت فيه، فالنفس اللوامة هى النفسَ التى تلوم الإنسان على فعل الخير والشر، إن النفوس التى لا تراجع أصحابها، إنما هى نفوس ميتة لا تستحق الحياة، وإن من ماتت فيه نفسه اللوامة مات بداخله كل الجمال.

فقلت لها: يا جدتى لم تلومنى نفسى؟ فقالت لى: يا بنى ان حافظت على سبع لن تلومك نفسك إلا بالاستزادة فى الخير فقلت لها: وما هى السبع؟ فقالت: ألا تنظر هيئتك مما تتكون، ألم تدرس فى حصة العلوم تركيب الإنسان وأعضائه، فقلت لها: نعم وأعرف أن الجسم يتكون من رأس و رقبة وجذع وأطراف، فقالت: أحسنت، فقالت :صف لى ما بالرأس. فقلت لها: العين والأذن والفم واللسان، فقالت: صف لى باقى الأجزاء، فقلت لها: اليدان والرجلان، فقالت: وماذا بين اليدين، قلت لها: الصدر والبطن، فقالت: وماذا بين الرجلين فقلت لها: الفرج يا جدتى، فقالت: حافظ على سبع مما ذكرت، وضع خطا تحت كل منها، تعجبت من الإجابة، فقالت: لم تتعجب ألم يعلموك؟ فقلت فى نفسى: إن تعليم الحروف يتطلب وصفا حتى نستشعره ونفهمه، وإن استخدام الكلمات بلا وعى توظيفى يؤدى بنا إلى انكسار الحروف فتميل وتفسر على أهواء البشر.

رجعت مسرعا أجاذب هذه العجوز و أنا أرغب فى ألا أغادر المكان رغم أن باقى أهلى سوف يغادرونه بعد تلقى العزاء، فقلت لها: يا جدتى، فأشارت بعصاها، احفظ لى سبعا، فقلت لها: أشرت إلى النفس معى، وتكلمت عن النفس اللوامة، فقلت لها ان هناك ما يهمس بداخلى ويأمرنى بأشياء لا أعرف ماذا ستؤدى بى، فقالت: يا بنى أما سمعت **{وَمَا أُبَرِّئُ**

نَفْسِى إِنَّ النَّفْسَ لَأَمَّارَةٌ بِالسُّوءِ إِلَّا مَا رَحِمَ رَبِّى إِنَّ رَبِّى غَفُورٌ رَحِيمٌ}. (يوسف: ٥٣). فقالت: يا بنى كما وصفت لك النفس اللوامة، فإن هناك النفس الأمارة بالسوء، فإن النفس الأمارة بالسوء يغلب عليها اتباع الهوى، ويكون الشيطان قرينا لها، فيأمرها بالسوء والفحشاء، فاحذر شيئين هما النفس والشيطان .

فقلت لها: يا جدتى، وماذا بعد؟ قالت لى: هناك نفس مطمئنة، وهى ما استقر بداخلها اليقين، اليقين فى رضاها، اليقين بالفوز، اليقين بحقيقة العقيدة، النفس التى تطمئن فى السراء والضراء، هى نفس مؤمنه، يرتفع عنها اللغو، وتتسم بالسماحة، وتزخر بالود، لا تتلجلج فى طريقها ولا ترتاب، وبهذا يكون لديك ثلاث بداخلك فحافظ عليها وسبعا خارجك فاحفظها.

عندئذ بدأت أفكر وأتذكر حين انتقل والدى إلى رحمة الله، وأنا أتلو عليه سورة الفجر وبجواره، وحين وصلت للآية يا أيتها النفس المطمئنة ارجعى إلى ربك راضية مرضية فادخلى فى عبادى وادخلى جنتى، دعوت الله أن يحسن ختامنا. إن الإنسان وبقدرته التى تزين له طريقه، هو أضعف من أن يكون شيئا، مهما بلغ ومهما أعطى، وان القوة الوهمية التى تجعلنا نظلم الآخرين لهى قوة محكوم عليها بالفشل ومهما بلغت فإلى زوال **{يَوْمَ تَأْتِى كُلُّ نَفْسٍ تُجَادِلُ عَن نَّفْسِهَا وَتُوَفَّىٰ كُلُّ نَفْسٍ مَّا عَمِلَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ}**. (النساء: ١١١)، وفى لحظة واحدة رأيت العجوز تتحرك فقلت لها: إلى أين؟ فاستندت على عصاها وقالت: الدنيا متاع الغرور، فاحذر من نفسك والشيطان، ولم أعد أراها فقد اختفت وتركت بداخلى حروفا منقوشة.

المقال الثامن
محاكمة تاريخ علمنى كلمات

دعينى أغادر المكان، ولا تسألينى أين أذهب، تحدثت إليها بكلمات غاضبة، وتجمع بداخلى شعور بالندم، ندم على أنى ظللت ستة عقود أُجَرْ من رقبتى، فى ساقية الحياة، كانت الخطوات تكاد لمرئى العين غير منتظمة، ولكن عقلى يقول إنها كانت متماسكة حتى لا تنهار من تحت أقدامى الأرض أكثر مما هى فيه الآن حيث أرى كثيرا من الجبال تتساقط والصخور تتصدع ولم تعد الأرض متماسكة.

نادت خلفى بصوت يذكرنى، بما يعبث عقلى من أفكار تحت هذا الغطاء الذى يقبع به الأفكار السوداء أو البيضاء حيث أن التمييز بينهما يحتاج الكثير، حين نادت بصوت عالى أتتركنا؟ بعد هذا العمر، قلت لها: اقرئى التاريخ، تذكرت فى لحظة، حين كانت على أطراف عرفات تدعو وتبتهل، فى صمتها، أن ترزق بمن يعين همها فى الكبر، وها هى تتذكر معى كيف أعطاها ربى ما أرادت، وهى لحكمة، تذكرت حين هممت بالخروج، لقد تذكرت زهرة اللوتس، ورأيت هناك أوجه شبه، فهل تعلمون من هى زهرة اللوتس، إنها أمنا هاجر، تذكرت حين أراد الله لها، فحملت هاجر {فَبَشَّرْنَاهُ بِغُلَامٍ حَلِيمٍ}. (الصافات: ١٠١). تذكرت ذلك جيدا، وأعلم أن لكل شيء حكمة، قد نعلمها وقد لا نعلمها، ورغم كل هذا آثرت الخروج والمغادرة، من حياة الجميع، و لا تسألى لم، هل تحاكمونى، إن أردتم حاكمونى، واسالونى لم ظللت تركض ولا تجد من يقول لك قف. جاء يوم الجائزة هاهو ما تستحق. اوقفونى، بل اعدمونى، افعلوا ما شئتم إن استطعتم، ولكن اتركونى حتى أراه قبل أن أموت. هنا تعالت صرخاتها، دع ما تريده إلى ما يريده، فقلت لها: هل نحن نعيش حياة؟ نحن أحياء موتى، أنصاف رجال، وأشباه نساء، نحن عراة فى مرايا أنفسنا، نحن فقدنا ثياب الاحترام، ولست ملاكا ولا رسولا، وتبادلنا أبياتا من

الشعر، فهى تعلم أنى شاعر أتلفظ كثيرا ببحوره المتنوعة:

قالت والعين تدمع لم تفارقنى

فقلت يا محبوبتى الدنيا أهانتني

فقالت الدنيا لم تهن محبا بقلب

فان من يهن نفسه هانت له نفسى

فقلت كفى من الدهر ساقية ظهري

فقالت دفعنا ثمنا غاليا فلا تشكي

الدنيا سجن للنفس وآخرتنا جنة النعم

رغم هذه الأبيات إلا أننى ظللت فى حمل ما التحف به، فيما نويت عليه وغادرت البيت بلا رجعة هكذا كما أعتقد.

تحركت قدماى فى غسق الدجى، تداعبنى أضواء المدينة الصاخبة، على أصوات الموسيقى الصادرة من شبابيك الجيران، وكل يغنى على ليلاه، وكأن مدينتى المغادر منها مدينة المزامير، تشدو فى نغمات شاذة لا تقبلها أذنى.

قلت لنفسى الغاضبة: سأواجه هذا العجوز الهَرم، الخَرِف، فقالت نفسى بداخلى: و أنت هَرِّم أيضا، قلت لها: وما تجاعيد وجهى إلا سِنَ عُمْر، وما فى العقل من خرف هو عُمْر عَقْل، أما عمرى الحقيقى فى قلبى الموجوع، المتألم، الذى يكاد ينفجر وكفاه ما حدث له.

فقالت لى: ولماذا ترغب فى لقاء هذا العجوز؟ فقلت لها: نعم يا زهرة اللوتس سوف أذهب إليه هل تعرفين، لم أجاوب زهرة فقلت فى نفسى: هل حملت معك قصاصات الغضب، كى تشعلها أمامه بعود ثقاب من لهب، قلت لنفسى: لا تسألى ثانية، فهناك كثير من العجب، جرفتنى أفكارى المتمردة والغاضبة التى تريد أن تقاتل من أجل معرفة الشيء الأهم فى حياتى من هو أنا؟ ولم أنا هكذا؟ وما هى الهواجس والوساوس والهمس الذى يتضارب فى موج عقلى؟ ولم كل هذا حولى؟ هل نحن على حافة الانهيار وهل مغادرة

obeikandl.com

غرفة التاريخ إلى غرفة التأريخ هى جزء من الصراعات المستمرة؟ فيا لها من حياة صراع فى حدود نفسك مع الآخرين، وصراع مع مسكن تؤويه، يا لها من قسوة! ورغم كل هذا سأذهب للعجوز، أمضيت ليلة كاملة، وأنا بمحاذاة سور المدينة وعلى ضفة نهر قلت به المياه، ومررت بأراض مجرفه، ومررت بأبراج عالية، وأردت أن أعبر الطريق، فزادت آلام ظهرى التى لم تشف بعد، رغم استدعائى لأمهر الأطباء، حيث عملى المميز وحياتى الراقية التى رغبت أن أستغنى عن كل شيء وأبدا من جديد رغم العقود الست إلا أننى قررت ذلك، رغبت فى أن أخرج من سجن ذاتى، أن أخرج من حدودى من هذا الكيان، أريد أن أعود لنفسى التى تركتها على أرجوحة الزمن ومزامير هوى الآخرين، وأصبحت كما يتحرك وسط القطيع، إن لوحة المدينة أصبحت فوضوية الأعين شاذة السمع، إرهابية القدم واليد، وأصبح الحق مسلوبا، إنها الفوضى الناعمة على مزامير الشيطان الأعظم.

إن مأساة الحياة أن تكون جزءا من قطيع ما، يقدم لك ما يرضيه، وما ترغبه تنعيه، إن رغبات الإنسان حين تطمس من أجل الآخرين تحت عنوان التضحية فى قيم باهتة، حين تغادر فى حياتك قائمة الواجبات التى لا تنتهى، إلى حين الاحتضار، ولا ترى غير مجهود مسلوب منك للآخرين، وقد أتفق معك أن هذا من العطايا وهو دور نحن نلعبه، ولكن ليس كل القطيع يعطى، فنحن نريد قطيعا منتجا، يعزف على أوتاره أكياس الحليب ليطعم بها الطفولة الشريدة بين رغباتنا الشخصية وحمل الأمانة الأبدية.

إن الإنسان حين يعيش بحثا عن إنسانيته فى وسط يسوده القهر، لا يصمت ولا يظل فى القطيع، بل عليه أن يذهب للعجوز الهَرِم من التاريخ، لنسأله، لنتعلم منه، فكلنا ناقصو التعليم والرباية.

ظللت أعبر مسافات حتى رأيته على قمة جبل، يجلس واضعا يده اليمنى على وجهه، يغلق احدى عينيه، بإبهامه الأيسر، على وجهة التجاعيد ورغم هذه التجاعيد، لاحظت ألما شديدا فقلت له من أنت؟ ولم تجلس هكذا؟ ومنذ متى؟ قال: أنا الأحداث فى زمن تصارعت فيه الأقوام وخشيت على نفسى

فجلست أدون ما أرى فأنا عجوز القوم ينتهى عندى شرف الكتابة والتوثيق، فقلت له: ومن أدرانى أنك لا تعبث فى أوراق التاريخ؟ من قال إنك صادق فيما تكتب؟ فكثير مما مر أمامنا من أحداث رغم ما رأيناه، نراه فى آخر يومنا حين تطل علينا الحسناء مقدمة البرامج لتعتلى وجها ابتسامة خادعة وتقرأ نص التلقين، نعم إنه نص التلقين المغاير لابتسامتها المصنوعة، قالها والحزن باد فى عين العجوز المخبأة، وسألته: لم تخبئ عينك؟ فقال: إنها الحقيقة، فإن العيون ترى نصف الحقيقة والنصف الآخر يبدو مخفيا، إن العيون حين تخبئ قصدا عن الآخرين الحقيقة، فإن الحقيقة الغائبة تظل وسواسا قهريا يداعب أحلام البشر. إن تاريخ الأمم هو ما يبدو أمامنا وما هو مصرح به، وإن ما يختفى من مقابر التاريخ الجماعية هو ما يحزننى وها هو أنا أرقب الكثير.

فقلت له: دلنى، فقال: لَمْ تدل نفسك، ولم تفى بعهدك، ولم تصن علمك، وأهدرت كتبك، ونسيت ما تعلمت، وأخذت الكثير من جرعات الغيبوبة، وأخذتك الدنيا بما فيها ونسيت ما يجب أن تفعله، فارجع إلى أهلك وعش فى القطيع ولا تخرج منه، فإن الذئاب لا تفرق بين رجل وامرأة فى الليل المعتم، وبين أجناس وأخرى.

فقلت له: لقد جئت إليك لأفهم. قال: ماذا تفهم، أتريد أن تفهم كيف أقوم بالتأريخ؟ هل تحب جملة الأحداث؟ أم تريد تتابع الزمن؟ يا ولدى هناك من يُحَرف الكَلِّمَ عن مواضعه، وهناك من يبدل الحرف، وهناك من يزيد النقاط، إن العبث بنقاط الحرف الواحد لنبدل المعنى قصدا لغية ونية مبيتة ما هو الا عربدة فكرية وقهر ثقافى الهدف منه أن نسرق حرية الفرد.

فقلت له: أريد أن أعرف كيف تتبدل النقاط وكيف يكون الفرق فى الوسوسة وبين الهمس الذى يخاطر بين أذنى؟ فقال: يا بنى تبديل النقاط أعطيك مثلا، إذا أمرا شخصا فى كلمة اِحْصِ العبيد، فهذا يعنى انك تطلب تعدادا للعبيد، فإذا أردت أن تعبث بالعبيد، فاعبث بالكلمة ولا حظ الفرق فقل اِخْصِ العبيد أى أضف نقطة على الحرف، ولاحظ النتيجة هكذا تكون العربدة الفكرية والمغالطة المقصودة، وإن اكْتُشِفَتْ نقدم الاعتذارات الباهتة.

إن قضية البشر التى لا ينتبه الجميع إليها هى الوسوسة ولا تنس أن تفهم أن الوسوسة هى ما تَحْكِى به عن نفسك ربما بما لا خير فيه ولا نفع، فالوسوسة ما هى إلا كلام خفى وأنت الفاعل فيه أى أنك المُوَسوس، كثير منا تحادثه نفسه، فاعلم أن النفس توسوس لك وتأمرك بعمل السوء ولا تنس **{وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنسَانَ وَنَعْلَمُ مَا تُوَسْوِسُ بِهِ نَفْسُهُ وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ الْوَرِيدِ}**.(ق: ١٦)، فقلت: يا مؤرخى قل لى كيف أعلم حقيقة ما أرى؟ فقال لى **{يَعْلَمُ خَائِنَةَ الْأَعْيُنِ وَمَا تُخْفِي الصُّدُورُ}**. (غافر: ١٩). ماذا يعنى ذلك؟ قال: لو استطعت قراءة الآخرين لازدانت الدنيا شرا ووهجا، فدع ما هو مخفى عن العيون سترا من الظنون فالظن آفة، وحسن الظن به نعمه، فدع ما خُلِق لمن خَلَقَ، فقلت له: هذا استسلام، فقال لى: وما أنت بفاعل مع الأنام؟

قال لى: يا بنى هناك وساوس تدخلنا من اتجاهات مختلفة فهل تعلم أن هناك أنواعا من الوساوس: وسواس النفس حين تحادثها، وهناك وسواس القرين **{قال قرينه ربنا ما أطغيته ولكن كان فى ضلال بعيد}**. ق ٢٧، إن القرين هو شيطان موكل بالإنسان فى الدنيا يوسوس بمعصية وبترك الطاعات وكل ما هو أولى عن طريق النفاذ والوصول إلى الروح، فإن الشيطان يجرى من ابن آدم مجرى الدم، أما ثالث الوسوسة والتى دعتك للمجيء إلى هنا هى وسوسة شياطين الإنس وشياطين الجن **{كذلك جعلنا لكل نبى عدوا شياطين الإنس والجن يوحى بعضهم إلى بعض زخرف القول غرورا ولو شاء ربك ما فعلوه فذرهم وما يفترون}**.الأنعام ١١٢.

إن همس الشيطان الذى يدعونا إلى اللا فعل هو شيطان الخديعة التى نعيش بداخلها حتى لا نحس بما حولنا، ونتقبله كأمر واقع، فاسمع يا بنى هكذا يقول لى المؤرخ : إن لكل مكان تاريخا فكن جزءا منه ولا تنفصل عمن حولك، ولا تكن جزءا من قطيع الاستعباد.

انتابتنى لحظة صمت عميق، صمت أَسْكَتَ كل ما فى عقلى، وقلت: لقد جئت إليك لتقول لى التاريخ، فقال لى: يا بنى إن التاريخ به وساوس ثلاث: وسواس نفسك ووسواس قرينك ووسواس شياطين الإنس والجن، ومن الصعوبة أن يُصَدَق الشيطان فى تسجيل التاريخ، إنه تاريخ صاخب، مزين بزينة عابثة

بأيدى الشياطين، إنها شياطين الوحى التى تملى التاريخ زخرف القول غرورا.

صَمَتَ التاريخ العجوز أمامى و صَمَتُّ معه فقلت له: هكذا القول : أثق بك ولا أثق بشيطانك، هنا وقفت لأقرر، هل أعود إلى حيث ما جئت أم أعبر حاجز الزمن لأعيش كما أريد؟ تذكرت الآن **{وَلاَ تَمْشِ فِى الأَرْضِ مَرَحًا إِنَّكَ لَن تَخْرِقَ الأَرْضَ وَلَن تَبْلُغَ الْجِبَالَ طُولاً}.الإسراء:٣٧**، تذكرت أن ما نحن فيه سينتهى فكم من أمم كانت فى عز ومتعة وانتهت، فالصبر هنا لنا آية، نعم لن تظل كما نرى ولن تبقى كما نريد، إنها الإرادة التى لا مفر لها، إرادة الخالق لمخلوقه، يوم يكون الحساب **{يَوْمَ يَجْمَعُ اللَّهُ الرُّسُلَ فَيَقُولُ مَاذَا أُجِبْتُمْ قَالُوا لَا عِلْمَ لَنَا إِنَّكَ أَنْتَ عَلَّامُ الْغُيُوبِ}**.(المائدة: ١٠٩).

إن ما أراه قد حول أمامى الكثير من البشر إلى شياطين خرس، تسمع وترى ولا تحرك ساكنا، لا تملك إلا هز الكتفين، فى مسرح هز البطون، وتصفية العقول، إن اللامبالاة تجاه الواقع هى المعصية الكبرى التى يريدها لنا شياطين الأنس مزيفو الحقيقة بمباركة شيطانية، إن ما يحيط بنا هو برنامج ترويجى عن أن السكوت هو الصواب وأن القعود هو الوضع الطبيعى، إن الخدعة الكبرى تجدها فى الياقات البيضاء التى تتلفظ ولا تحول الحياة أمامنا إلى أمل مشرق وإن إنكار الذات والتضحية هما أمل البشر لحياة هانئة.

سكتُّ قليلا وقلت فى نفسى :هل أستطيع أن أغير؟ فلأبدأ بنفسى، وابدأ كما أريد وسأبحث عن ذاتى وإما أن أحيا بما أريد بما أراد ربى وقلت فى نفسى **{وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ الَّذِينَ إِذَا أَصَابَتْهُم مُّصِيبَةٌ قَالُواْ إِنَّا لِلّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعونَ}**. (البقرة :١٥٥ – ١٥٦). إننا فى بلاء عظيم، وما نحن فيه هو رهان إبليس، فهل نظفر، أم نخسر؟

المقال التاسع
يا له من دين ثقيل

تسير الحياة بنا، تحملنا على أرض الله، تتحرك الخطوات، ونشاهد بأعيننا الكثير، ونحمل فى كل يوم أشياء، قد نحملها فى عقولنا، أو على ظهورنا، أو بأى وسيله، ونحصد ما نفعله، مدون، **{لا يُغَادِرُ صَغِيرَةً وَلا كَبِيرَةً إِلاَّ أَحْصَاهَا وَوَجَدُوا مَا عَمِلُوا حَاضِراً وَلا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَداً}. الكهف:٤٩**. فكلنا مدينون، لقد توقفت أمام ثلاث آيات، بعد ما قرأت قصة نبى الله إدريس حين طلب من ملك الموت والذى استأذن ربه فى ذلك أن يريه الموت، ويريه النار، ويريه الجنة، فتوقفت أمام آيات ثلاث ألا وهى **{كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ وَإِنَّمَا تُوَفَّوْنَ أُجُورَكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ}. آل عمران – ١٨٥** والثانية **{وَإِنْ مِنْكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا كَانَ عَلَى رَبِّكَ حَتْمًا مَقْضِيًّا}. مريم:٧١]** والثالثة **{لاَ يَمَسُّهُمْ فِيهَا نَصَبٌ وَمَا هُمْ مِّنْهَا بِمُخْرَجِينَ}. الحجر٤٨**. وتأملت للآيات، فكأن لسان الحال يبلغنى إلى أين، مغادر، فملاق، فمستقر، فمستودع، وسألت نفسى: من أعاتب بعد هذا العمر، من علمنى، أم من أسمعنى، أم نفسى بعد ما تعلمت الحروف وقواعد العربية وقواعد الكتابة والقراءة؟ إن الحمل ثقيل، فلا مفر من الموت **{قُلْ إِنَّ الْمَوْتَ الَّذِى تَفِرُّونَ مِنْهُ فَإِنَّهُ مُلَاقِيكُمْ ثُمَّ تُرَدُّونَ إِلَىٰ عَالِمِ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ}. الجمعة – ٨**، فسألت نفسى لأذكرها، لم ننس الموت رغم انه محيط بنا ونحن داخله ونسينا الآية.

{اللَّهُ يَتَوَفَّى الأَنفُسَ حِينَ مَوْتِهَا وَالَّتِى لَمْ تَمُتْ فِى مَنَامِهَا فَيُمْسِكُ الَّتِى قَضَى عَلَيْهَا الْمَوْتَ وَيُرْسِلُ الأُخْرَى إِلَى أَجَلٍ مُّسَمًّى إِنَّ فِى ذَلِكَ لآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ}. الزمر٤٢.

إذن نحن ذاهبون، فهل استعد كل منا أم أن الحياة بدورانها ومسئولياتها، أدخلتنا فى دائرة النسيان الثقيل وكأنه الثبات.

والإنسان ينتهى من الدنيا ليذهب إلى الآخرة ومهما طال العمر **{إنك ميت وإنهم ميتون}. الزمر٣٠**، ونتجه نحو مشهدين وكل حسب رقم الحساب الخاص

بـه ورصيـده الخـاص بـه، ليـس رصيـد البنـوك، فـلا قيمـة لرصيـد البنـوك فـى الآخـرة، والمشـهدان هما إما الجنـة وإما النـار، والله كريـم بعبـاده إن اللهَ لا يظلـم النـاس شـيئًا، بـل يُوَفِّيهـم أجورَهـم ويزيدُهـم مـن فضلـه.

ثـم نأتـى إلى الآيـة الثانيـة **{وَإِنْ مِنْكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا كَانَ عَلَى رَبِّكَ حَتْمًا مَقْضِيًّا}**. [مريـم: ٧١]؛ والتـى قـد يسـيء بعـض النـاس فهمهـا، فيعتقـدون أن النـاس كلهـم سـوف يدخلـون النـار هـذه الآيـة الكريمـة فسـرها النبـى -صلـى الله عليـه وسـلم- وهـى قولـه عـز وجـل : **{وَإِن مِّنكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا}**.يعنـى النـار **{كَانَ عَلَى رَبِّكَ حَتْمًا مَّقْضِيًّا*ثُمَّ نُنَجِّى الَّذِينَ اتَّقَوا وَّنَذَرُ الظَّالِمِينَ فِيهَا جِثِيًّا}**. (٧١-٧٢) سـورة مريـم. فسـرها النبـى بـأن الـورود المـرور والعـرض، هـذا هـو الـورود، يعنـى مـرور المسـلمين عليهـا إلى الجنـة، ولا يضرهـم ذلـك، منهـم مـن يمـر كلمـح البصـر، ومنهـم مـن يمـر كالـبرق، ومنهـم مـن يمـر كالريـح، ومنهـم مـن يمـر كجـواد الخيـل والـركاب. تجـرى بهـم أعمالهـم، ولا يدخلـون النـار، المؤمـن لا يدخـل النـار، بـل يمـر مـرور لا يضـره ذلـك، فالصـراط جسـر علـى متـن جهنـم يمـر عليـه النـاس، وقـد يسـقط بعـض النـاس؛ لشـدة معاصيـه وكثـرة معاصيـه، فيعاقـب بقـدر معاصيـه، ثـم يخرجـه الله مـن النـار إذا كان موحـداً مؤمنـا، وأمـا الكفـار فـلا يمـرون، بـل يسـاقون إلى النـار، ويحشـرون إليهـا نعـوذ بـالله مـن ذلـك، لكـن بعـض العصـاة الذيـن لم يعـف الله عنهـم قـد يسـقط بمعاصيـه التـى مـات عليهـا، لم يتـب كالزنـا، وشـرب المسـكر، وعقـوق الوالديـن، وأكل الربـا، وأشـباه ذلـك مـن المعاصـى الكبـيرة، صاحبهـا تحـت مشـيئة الله كمـا قـال الله سـبحانه : **{إِنَّ اللّهَ لاَ يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَن يَشَاء}**. (٤٨) سـورة النسـاء. وهـو سـبحانه لا يغفـر الشـرك لمـن مـات عليـه، ولكنـه يغفـر مـا دون ذلـك مـن المعاصـى لمـن يشـاء -سـبحانه وتعـالى-. وبعـض أهـل المعاصـى لا يغفـر لهـم فيدخلـون النـار، كمـا تواتـرت فـى ذلـك الأحاديـث عـن رسـول الله -صلـى الله عليـه وسـلم- فقـد صـح عـن رسـول الله -صلـى الله عليـه وسـلم- فـى الأحاديـث الكثـيرة أن بعـض العصـاة يدخلـون النـار ويقيـم فيهـا مـا شـاء الله، فقـد تطـول إقامتـه؛ لكثـرة معاصيـه التـى لم يتـب منهـا، وقـد تقـل ويشـفع النبـى -صلـى الله عليـه وسـلم- للعصـاة عـدة شـفاعات يحـد الله لـه حـداً، فيخرجهـم مـن النـار فضـلاً منـه -سـبحانه وتعـالى- عليهـم؛ لأنهـم ماتـوا علـى التوحيـد والإسـلام، لكـن لهـم معاصـى لم يتوبـوا منهـا، وهكـذا تشـفع الملائكـة، يشـفع المؤمنـون، يشـفع

الإفراط، ويبقى أناس فى النار من العصاة لا يخرجون بالشفاعة، فيخرجهم الله -جل وعلا- فضلاً منه -سبحانه وتعالى-، يخرجهم من النار بفضله؛ لأنهم ماتوا على التوحيد، ماتوا على الإسلام، لكن لهم معاصى ماتوا عليها لم يتوبوا فعذبوا من أجلها، ثم بعد مضى المدة التى كتبها الله عليهم وبعد تطهيرهم بالنار يخرجهم الله من النار إلى الجنة فضلاً منه -سبحانه وتعالى-، وبما ذكرنا يتضح معنى الورود وأن قوله -سبحانه وتعالى- وإن منكم إلا واردها. يعنى المرور فقط لأهل الإيمان، وأن بعض العصاة قد يسقط فى النار، ولهذا فى الحديث: «فناج مسلم ومكدس فى النار». فالمؤمن السليم ينجو وبعض العصاة كذلك، وبعض العصاة قد يخر، ويسقط.

وحياتُكَ فى الآخرة ـ إنْ أصلحتَ عملك وكنت من المؤمنين - تختلف عن حياتك فى الدنيا؛ فأنت تعلم أنك فى الدنيا تَحْيا مع أسباب الله المَمْدودة لك؛ وتضرب فى الأرض من أجل الرزق، وتجتهد وتتعب من أجل أَنْ يهبكَ اللهُ ما فى الأسباب من عطاء.

وحينئذ تصبح من المُفْلِحين الذين يهديهم الله جنته. يقول الحق جل عُلاَه: **{وَٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِمَآ أُنْزِلَ إِلَيْكَ وَمَآ أُنْزِلَ مِن قَبْلِكَ وَبِٱلآخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ * أُوْلَـٰئِكَ عَلَىٰ هُدًى مِّن رَّبِّهِمْ وَأُوْلَـٰئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ}.البقرة: ٤-٥.**

وشاء الحق سبحانه أن يأتى بلفظ المُفْلِح كصفة للمؤمن فى الجنة، لأن المؤمن قد حرثَ الدنيا بالعمل الصالح وبذل جهده ليقيمَ منهج الله فى الأرض، ونصَبَ قامته، ونعلم أن نَصْب القَامَة يدلُّ على أن مَنْ يعمل قد أصابه التعب، وذلك فى الحياة الدنيا.

ونأتى للآية الثالثة **{لاَ يَمَسُّهُمْ فِيهَا نَصَبٌ وَمَا هُمْ مِّنْهَا بِمُخْرَجِينَ}. - الحجر٤٨** - إنها الجنة أى: لا يصيبهم فيها تعب، ولا يُخْرَجون من الجنة، ذلك أنهم قد نَالُوا فيها الخلود. وأختم الآيات لأصل إلى رحمة الله تعالى **{نبئ عِبَادِى أَنِّى أَنَا الْغَفُورُ الرَّحِيمُ (٤٩) وَأَنَّ عَذَابِى هُوَ الْعَذَابُ الأَلِيمَ}**. (٥٠) - سورة الحجر ونرى أن الآية فيها نبأ الرحمة ٤٩- ونبأ العذاب ٥٠ ولننظر كيف تدور بنا الحياة؟ **{ذَرْهُمْ يَأْكُلُواْ وَيَتَمَتَّعُواْ وَيُلْهِهِمُ الأَمَلُ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ}**.الحجر ٣.

أين نحن؟ والى أين؟ وماذا نحن للغد فاعلون؟ ومن أحمال الدنيا على كاهلنا مثقلون. فاللهم اجعلنا من التوابين والتائبين.

المقال العاشر
غواية جارية

حيث كانت ترعى أولادها، منهم من تهدهد، ومنهم من تطبب، ومنهم من ترضعه، ومن تسهر عليه من حمى ليل تفاجئه، ومنهم من تؤدبه، ومنهم من تعاقبه، إنها صاحبة الديوانية الكبرى، إنها مملكة الرحمة، إنها صارخة الجمال وصفا ورسما، شكلا ومعنى، يحار فيها الكثير من الرجال فى أمر صبرها، فى قوتها، فى صلابتها، كانت تعيش فى صلف عيش قوية، قادرة صلدة، صلبة لا تلين، لا تعرف للغواية طريقا، لا تعبأ من قليل، لا تتوسم فى وجنتيها الضجر، كان همها الأكبر أن تعتنى بأفراخها، اعتناء مقاتل، فى ساحة حرب لا يرى من النوم إلا قليلا، لم تتنازل عن مسيرتها، فرحة فخورة، لديها من العطف أكثر من كل أنهار الدنيا، كانت تختلس لحظات كى تذهب لفارس أحلامها، تسأله عن حاجة إليه، فهى آوية إلى مخدعها، تعطف عليه، تعطيه سرا من أسرارها ألا وهو إكسير القوة، نعم إنه إكسير القوة الذى به يعمر الأرض، يجاهد فى حرثه، فى صيد بره، ويحمل لها الكثير، فى نهاية يومه، فتحمى له التنور، وتجمع بين رحى الصوان حبات القمح التى أتى بها من يومه، فتذره، وتطحنه فيصبح دقيقا أبيض، فتغذى به الجميع، إنها السعادة الأبدية إن خرجت من هذه المملكة انهارت جوانبها، فسقط السقف على ما فيه، تناول أهل البلدة عما كانت تفعله جارية، هكذا كان يطلقون عليها، لم تستطع عينا أن تراها غير عين رجلها عنتر الذى يأتى لها فى نهاية يومه محملا بخيرات الجنة التى يعيشان فيها، فحول هذه الجنة أشجار كثيرة، وأشكال شتى، متنوعة لا تعد ولا تحصى، لقد صارت حديث العامة، ولم تكن تعلم جارية أن هناك من يترصدون بها، فبدا من يراقبها، ومن يتابعها، ويترصد خطواتها، فمنهم من فكر فى أن يضع شباكا فى طريقها

كى تتعثر، ومنهم من فكر فى أن يمنع عنتر رجلها عن صيده ويحاربونه فى لقمة عيشه، أو يحاولون بشتى الوسائل، أن يبعدوها عن مسارها، يريدون إبعاد جارية عن طريقها، فقالوا ماذا نفعل بها، فهناك بالقرية ألف مثلها، كان زوجها عنتر يأخذ جارية كل أسبوع للتنزه فى البساتين المحيطة بالمنزل، على ضفاف ماء النهر، ومعها أفراخها تسعد بلحظات من الحياة وإعادة البهجة عليهم مرة أخرى وإسباغها عليهم، ولما كان هناك من الأمور التى تحتاج إليها جارية، فطلبت من زوجها الذهاب إلى سوق المدينة، وما كانت تعلم أن هناك من يتربص بها، ومن يعلم قُوّتَها، فتجمع بعضا ممن يتربصون بها، و سألوا أنفسهم ماذا نحن بجارية فاعلون؟ بعد أن جلس كل منهم يتفنن فيما يعمله، قام أحدهم يقول أنا عندى من الحل ما يكشف تلابيب ثوبها وبيدها تفعل ذلك، ولكن دعونى حين تأتى مع زوجها، وكان محل آشر محلا يرتاده الكثيرون، وجاءت جارية لتأخذ ما تحتاجه من النواقص التى ترغبها، وجاءت على استحياء خلف زوجها مستورة، لا يظهر من عورتها أمر، فهى تعلم معنى: **{وَقُلْ لِلْمُؤْمِنَاتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَارِهِنَّ وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَلْيَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَىٰ جُيُوبِهِنَّ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا لِبُعُولَتِهِنَّ أَوْ آبَائِهِنَّ أَوْ آبَاءِ بُعُولَتِهِنَّ أَوْ أَبْنَائِهِنَّ أَوْ أَبْنَاءِ بُعُولَتِهِنَّ أَوْ إِخْوَانِهِنَّ أَوْ بَنِي إِخْوَانِهِنَّ أَوْ بَنِي أَخَوَاتِهِنَّ أَوْ نِسَائِهِنَّ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُنَّ أَوِ التَّابِعِينَ غَيْرِ أُولِي الْإِرْبَةِ مِنَ الرِّجَالِ أَوِ الطِّفْلِ الَّذِينَ لَمْ يَظْهَرُوا عَلَىٰ عَوْرَاتِ النِّسَاءِ وَلَا يَضْرِبْنَ بِأَرْجُلِهِنَّ لِيُعْلَمَ مَا يُخْفِينَ مِنْ زِينَتِهِنَّ وَتُوبُوا إِلَى اللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَ الْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ}**.(النور : ٣١). تعلمها جيدا ولكن هيهات أن يهدأ آشر وصحبه، حين جاءت خلف زوجها، حاول آشر أن يستدرج زوجها فى البداية، فتناول معه أطراف الحديث، وجارية تحاول أن تمسك جلباب زوجها، لتدفعه للعودة للخلف، وهو مازال مستمرا على ثرثار لسانه، وطيب قلبه، ولا يعلم أن آشر المخادع يدبر له مكيدة كبرى، فآشر يدبر الاستيلاء على زوجته وعلى بيته وأرضه ويشرد أولاده، ولم يدرك عنتر ذلك، فكان طيب القلب، وحين كان يعرض على عنتر ما بالمحل من بضاعة، إذ كان بين الحين والحين ينظر خلسة لزوجته وكأنه يريد التهامها، إن استطاع فكان يغرس أنياب عينه من خلف حجاب جارية حتى يلتهم من وجهها وعينيها الكثير، عرض آشر على عنتر أن يعمل عنده، فوافق لما رأى

من رغد العيش كما يتوهم، وحاول آشر أن يقدم هدية لعنتر ولا كان يقصد عنترا بل كان يقصد بالهدية جارية، و أعطى جارية كرتونا، حملا كل من جارية و عنتر الكرتون وتوجها إلى البيت، وقاما بفتح الكرتون وكانت المفاجأة، أربع مرايا لامعة، ذات نقاوة فضية روعة، اجتمع عنتر وزوجته، فقال: أين نضع هذه المرايا، فقالت واحدة فى غرفتى، و واحدة فى غرفتك، و واحدة فى غرفة الأولاد و الأخيرة نضعها فى مدخل البيت، ولم يكونا يعلمان أن المرايا حين توضع فى مكان تغير منه، وقد وضعا المرايا طبقا لما أراد آشر، واحدة فى غرفة الزوجة، وواحدة فى غرفة زوجها، وغرفه فى غرفة الأولاد، وواحدة فى المدخل حتى تتبدل الأماكن ويتغير دور كل من الزوج والزوجة والأولاد والأقارب حين يأتون إلى المنزل ليشاهدوا المرايا، إن تغير الأدوار قد ينعكس سلبا على المهام المطلوبة وإن من يخرج من خندقه من السهل صيده، فإن المرايا خادعة، وهذا ما أراده آشر .

لم يكن يعرف أن هذه المرايا مكائد دخلت البيت، وأنها ستكون مصدرا للخلافات، وتباعد كل من جارية وعنتر، انطلق عنتر فى صباح اليوم التالى تاركا فأسه الذى كان يستخدمه، وأخذ نفسه، وجلبابا جديدا، واتجه إلى آشر، وحين قدم على آشر تبسم آشر وعرف ان خطته قد نجحت، وقال له أنت ما عليك إلا أن تجلس على صندوق الحساب، وبدأ عنتر يأخذ المال من زبائن المحل، ولأنه كان لا يعرف الحساب فى الأوراق النقدية، أصبح لديه عجز فى النقدية، و قال له آشر: سأعلمك ولكن ما عليك إلا أن تستمع إلى جيدا، وتعلم عنتر من آشر كيف يعد النقود ولأول مرة رأى سحر المال بين يديه ولا يمتلكه، وكان كل يوم يعطى الإيراد لآشر ويذهب إلى بيته متأخرا، ظل على هذا الحال فترة، وبدأ آشر فى خطته الثانية، وهى إبعاد عنتر عن بيته، بأن يقوم بإرساله إلى التجار ليحصل على البضائع ويقوم بتحميلها، حتى صار لا يجد من الوقت ما يكفيه.

وكان فى هذه الأثناء يعود إلى بيته متأخرا، وكم كانت تنتظره امرأته مرات عديدة، ثم تغفو إلى نومها، كانت تقوم من نومها متأخرة بعد أن كانت تقوم مبكرة من نومها، فبعد أن علقت المرايا، بدأت تشعر وكأن أحدا يحادثها بالمرآة، رأت نفسها وهى تضع على رأسها غطاء يغطى شعرها، فشعرت بمن

يحدثها من المرآة، لماذا تخفين هذا الشعر الطويل، وأنت جميلة، انظرى إلى نفسك وسترين، وهنا قامت جارية بخلع غطاء الرأس، وما كانت تعلم أن ذلك بداية الغواية لنفسها، فرأت شعرا جميلا لم تكن تراه من قبل، وأعجبت بشعرها فقررت أن تخلع غطاء رأسها، داخل البيت، ومن بعد أن كانت تهتم بما اعتادت عليه بدأت تنظر إلى المرآة ذات الخيال، وقالت المرآة لها: ماذا يضيرك إذا لبست الحجاب من القماش الشفاف الذى أحضره عنتر إليك، وما كانت تعلم أن المرآة التى حملاها تجلب عليهما الخراب، وتحولت جاريه إلى شكل آخر وأعجبت من نفسها، فقالت لها المرآة: لم لا تتمايلين فى مشيتك، وتقصرين قصيرا من الجلباب؟ وفى ذات يوم حضر عنتر، وكان من عادته حين يدخل البيت أن ينظر إلى المرآة ويعدل من نفسه، فقالت له المرآة، ما أجمل أن ترى جارية ترتدى فستانا قصيرا وتتموج أمامك وتشعرك برجولتك، فتمنى فى نفسه ذلك، وحين دخل عليها، وجدها تتموج على فستان قصير، فقال لها: ما هذا الجمال؟ فأصبح يبارك تصرفها، وكان من الملفت بعد أن كانا يتناولان مصالح أبنائهم، لم يعد أى منهما يتحدث عن الأولاد وإذا سأل عن أى منهم، كان الرد ليسوا بأطفال فقد انتهت مرحلة طفولتهم وهم بالمدارس الآن ولم يكونا يعلمان أن الأولاد كل منهم يتلقى مبادئه وتعاليمه من خارج البيت، ولم يلتقيا على مائدة واحده بعد أن قام عنتر ببناء بيت جديد تجمع فيه كل الأجهزة الحديثة ونسى عمله الأصلى الذى اعتاد عليه، ونسى مهنة الفلاحة، وكذلك جارية لم تعد تشعل التنور، فقد استبدلته بأحدث جهاز فى الطبخ، وفى أحيان كثيرة، لم تعد تطبخ فى البيت، وفى خلال عامين أو ثلاثة تحولت حياة كلا منهما إلى حياة عصرية، وتناسيا ما هما فيه وما كانا عليه حتى أنهما غيرا اسميهما، وأصبح الأولاد، كل منهم فى انعزال، فهذا يحمل الآى باد، وهذا يحمل التاب، وهذا اللاب، وكأنهم يعيشون فى قرية معزولة بدلا من وهم التكنولوجيا فى أنها تجمع العالم، لم يكن أحد فى يوم ما يعتقد أن الشبكة العنكبوتية تجلب كثيرا من الأفكار المعكوسة، ولأنهم يتلقون تعليمهم من الغير فإن كل ما يروه يصدقونه بغير ان يفكر أى من الأولاد فيما هم به.

كل هذه التدبيرات والتغيرات أدخلها آشر فى حياة عنتر وجارية حتى أنهما قد انسلخا من أصليهما، وأصبحت المرايا تصور لهم أمرا آخر، إنها مرايا آشر التى صنعها ليغير الوجه الإنسانى ليضع وجها مزيفا، لم يعد يعتمد على نفسه وتساهل فى كثير من الأمور فبعد ثلاثين عاما، صارت جارية إنسانة أخرى هى وأولادها، تظاهرت فى أن تظهر بشكل يعجب مرآتها، وبدت تضع الكحل والأصباغ والخضاب وتظهر مفاتنها، وترتاد الأسواق، وها هى ابنتها لا تعترف بغطاء الشعر بل ترتدى حجابا مكشوفا، ونسيا قول الله: **{ولا يبدين زينتهن إلا لبعولتهن}(النور:٣١)**. كانت تتعطر فى خروجها بعد أن كانت لا تملك من أمر العطر شيئا، وكان زوجها عنتر يتباهى أمام الغير بأن امرأته صارت عصرية، وأن أولاده قد بلغن من الثقافة بخلط الكلمات العربية بالأجنبية وأنهما يجيدان اللغات بدلا من إجادة العربية، وكان من الطبيعى بعد مرور هذه الحقبة الثلاثينية من حياة جارية أن يتبدل كل شيء وأصبح آشر منتصرا وحول الحياة التى كانا يعيشان بها من كد أيديهما إلى الاعتماد على الغير فى الحصول على ما يحتاجه عنتر هو وأولاده، وتحولت القرية إلى أعمده خرسانية من المنازل ونسى كل رجل فى القرية أمر الزراعة، والتعليم، واهتم بقشور التكنولوجيا، واعتمد الجميع على الحياة العصرية، ولكى يزيد آشر من مكيدته بدا يعلن بالمدينة الحديثة التى حولها من همسات المرايا التى كان يبيعها للغير وبكثرة إلى أنه لم يعد هناك إمكانية فى توريد الخبز، وهو يعمل على زيادة موارده وجشعه، فزادت أسعار الخبز والاحتياجات، وأهمل المعلمون مدارسهم وتحولت إلى عيادات للدروس الخصوصية، وأثقل كاهل عنتر، وسيطر الجهاز اللعين الذى يدار بريموت كنترول على عقول أهل القرية، وكان يبحث عن منقذ له، فبدأ يبحث لبناته عن زيجات، من تجار أو من أصحاب المهن الثرية طمعا فى راحة بناته الوهمية اعتقادا منه أن السعادة فى مقتنيات عصريه، ولم يكن يعلم أن المبادئ أقوى من الحصول على ثروة الدنيا وما فيها، نسى أن الحياة ستمر وفى غفلة ينتهى أمر كل شيء **{اقْتَرَبَ لِلنَّاسِ حِسَابُهُمْ وَهُمْ فِي غَفْلَةٍ مُعْرِضُونَ}**.(الأنبياء: ١)، وفى هذه الأثناء أعلن عن وفاة آشر الذى كان لديه من الأبناء الكثير، ولهم نفس الصفات، لقد تساهلت جارية، والحجج كثيرة، هناك ما هو مقبول وهناك ما هو غير مقبول، تبدل

منطق الحياة وبشكل سريع أكثر مما كنت أتصوره حتى فى كتابة السطور، إن العجلة تسقط من حياتنا الأحرف المكملة للمعنى وإن من لم يستطع أن يجمع قش العيش ليبن العش تحول بيته إلى حائط هش، من السهل أن يحطمه أى شرر من النيران، ان الحضارة الهشة التى نعتقد وهما أنها مدنية والتى بنيت على المظاهر لم تضف لنا الكثير لأنها ليبنى الإنسان وزادت من الوجوه المقنعة وصارت الحضارة عبدا للتكنولوجيا، ولم تعد أدوات التكنولوجيا غير وجوه مقنعة يحصد من خلالها ملايين الأفكار الزائفة والمزيفة، ومن العجيب أن ادعاء المدنية واستخدام التكنولوجيا الخاطئ زاد من الفرقة وجعلنا فى قرى معزولة بدلا من أن يجمعنا قوة واحدة، إن العصى المفككة بعد أن كانت حزمة واحده برباط واحد، صار كل فرد يأخذ عصاه بمفرده وأصبحت الأنا عنوان الجميع، وهيهات هيهات أن تستطع عيدان الحطب المعزولة أن تشكل قوة يمكن تجميعها.

obeikandl.com

المقال الحادى عشر
ياله من سكن؟!

هل تفكر فى السكون؟ هل تفكر فى الطمأنينة؟ من منا لا يرغب فى ذلك، من منا لا يرغب فى مأوى دافئ، يطفئ سكن الجوع، ويطفئ سكن الظمأ، قد تعيش بمفردك، وتشعر بالجوع، فتأكل، ولكن سكن الجوع لا يهدأ، وتشعر بالظمأ فتشرب ولكن سكن الظمأ لا يرتوى، ومهما حصلت على ما تحتاج لن تهدا وتطمئن بغير سكن.والسكن فى اللغة العربية يعنى فى الفعل المجرد سكن وقوف الحركة وسكون المتكلم عن الكلام، والريح عن النشاط، وهدوء النفس عن الاضطراب (بالمعجم الوسيط ص ٤٤٠) فأين السكن الملائم لنا، إن السكن الملائم للإنسان نجده فى الآية **{وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُمْ مَوَدَّةً وَرَحْمَةً إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ}**. الروم ٢١.إننا إذا أضفنا إلى السكن مثل لتسكنوا إليها يعنى استأنس به واستراح إليه، وسكن إلى المكان وبه. لقد وردت كلمة سكن فى القرآن الكريم ٥٢ مرة فى الفعل المجرد كما ذكرت، والسكن الذى فى الآية الكريمة هو خير سكن وألذ فى الطمأنينة فكيف نعزف عنه؟! إن التشريع أحل السكن المريح ليطمئن الإنسان، ولكن نرى عزوفا عنه، رغم احتياج المعزفين عنه.

إن قضايا المجتمع الذى نراها فى المطلقات أو الأرامل أو العزباء لأمر يحتاج إلى علاج جذرى، حتى تهدأ السواكن وتسد بداخلهن سكن الظمأ وسكن الجوع، إن من ينكر ما بداخله كأنه يرتدى رداء شفافا يرى ما خلفه ولا يرى هو ما بداخله، إن الفطرة التى خلقنا عليها، ان الله خلق لنا من أنفسنا نحن الرجال أزواجا لنسكن إليها، فالسكن فى كل المواضع التى تحدثت عن مكونات المخلوقات من ريح أو جماد أو ماء والتى تعنى الهدوء بما فيها، ألم يشعر كل من الزوج والزوجة بمفهوم السكن الذى ينتهى بقضاء الحاجة فتهدأ النفس والاضطراب

أنـه سـكن الجـوع والظمـأ الـذى يجـب حمايتـه فـى كل مـن الطرفـين ودعـوه إلى الـزواج لا عزوفـا عنـه، إن التكافـل الاجتماعـى مـن بـاب التعـدد لهـو أمـر أراه يعـدل كثـيرا مـن الأمـور، ويحافـظ علـى الأعـراض، وهـو مـن بـاب الحمايـة للسـكن، فكلهن سـواكن يحتجـن للحمايـة، إن مـا يعـترض هـذه المسـألة فـى التعـدد وبالـذات فـى رفـض الزوجـة الأولى لهـذا الأمـر، عليهـا أن توجـه لنفسـها سـؤالا: كيـف إذا انقلـب الوضـع وصـارت فـى مصـاف الأرامـل أو المطلقـات، إن الأمـر ليـس مقصـورا علـى هـذا بـل النتائـج السـلبية مـن تـرك هـذه الفئـة تتعـرض لسـكن الجـوع أو سـكن الظمـأ.

وإذا نظرنـا **{هُوَ الَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ وَجَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا لِيَسْكُنَ إِلَيْهَا فَلَمَّا تَغَشَّاهَا حَمَلَتْ حَمْلًا خَفِيفًا فَمَرَّتْ بِهِ فَلَمَّا أَثْقَلَت دَّعَوَا اللَّهَ رَبَّهُمَا لَئِنْ آتَيْتَنَا صَالِحًا لَّنَكُونَنَّ مِنَ الشَّاكِرِينَ (١٨٩) فَلَمَّا آتَاهُمَا صَالِحًا جَعَلَا لَهُ شُرَكَاءَ فِيمَا آتَاهُمَا فَتَعَالَى اللَّهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ (١٩٠)}**. (الأعـراف: ١٨٩-١٩٠).

وقولـه تعـالى: **{وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُمْ مَوَدَّةً وَرَحْمَةً إِنَّ فِى ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ}**. الـروم ٢١.

نجـد أن كل الآيـات التـى وردت فـى القـرآن عـن السـكن والسـكينة لم يختلـف تفسـيرهم إلا فى موضعين وهما المسـندان إلى الزوجة (ليسـكن إليها، لتسـكنوا إليها).

إن السـكن فـى اللغـة يعنـى الزوجـة فيالـه مـن سـكن يعطـى الطمأنينـة، أليـس مـن حقـه هـذه العطيـة أن تمنـح مـن الرجـال الطمأنينـة كمـا هـى تعطيهـم المـأوى لحاجتهـم، إن الاحتيـاج للطرفـين أمـر مهـم وأن الدعـوة إلى مفهـوم السـكن وشـروطه الشـرعية أمـر واجـب، إن المـرأة لهـى فـى أشـد الحاجة لرجل يسـاندها الحيـاة ويضع السـكون داخـل سـكنها ولا ننسـى أن عمـر بـن الخطـاب سمـع امـرأة وهـى تقـول:

تطـاول هذا الليل واسود جـانبه وأرقـنى ألا حـبيب ألاعـبه

فلولا الذى فوق السماوات عرشه لزعـزع مـن هـذا السريـر جوانبـه

فأصبـح عمـر فأرسـل إليهـا، فقـال: أنـت القائلـة كـذا وكـذا؟ قالـت: نعـم. قـال: ولم؟ قالـت: أجهـزت زوجـى فـى هـذه البعـوث. قـال: فسـأل عمـر حفصـة: كـم تصـبر المـرأة عـن زوجهـا؟ فقالـت: سـتة أشـهر. فـكان عمـر بعـد ذلـك يقفـل بعوثـه لسـتة أشـهر، هـذا فيمـن يغيـب عنهـا زوجهـا فمـا بالنـا بالأرامـل والمطلقـات فرحمـة

بهن ودعوة للتكافل بينهن، وسنرى مجتمعا مختلفا عما نراه فى خفاء ونفعله وكأن الله لا يرانا، وعلى كل امرأة أن تنظر للأمور بشكل مختلف، حتى لا نهدم سكنا ونحطم بيتا، فالسكينة أمر هام لتستقر نفوس البشر سواء من الرجال أو النساء وهو أمر طبيعى فى السكن للمرأة لنشعر نحن الرجال إلى الاستقرار، ولنظلل نساءنا بالهدوء النفسى ولندعو كل شبابنا إلى التحصين بالزواج، ومن أراد التعدد فليعدد، ولتعلم كل سيدة أن التعدد ليس جريمة، تستهجنها الزوجات، لا يا سيدتى، لا تقليل للكرامة ولا تقليل فى المقدار إنه دور الرجل فى الحفاظ على سكنى مجتمعه، وسد أبواب الظمأ والجوع فى دنيا تصرخ سكنى الظمأ والجوع داخل النساء الوحيدات، وكذلك الرجال الذين ماتت زوجاتهم، فهم أيضا يحتاجون إلى السكن.

obeikandl.com

المقال الثانى عشر
هل قرأت جداريات الأنثى؟

أغلقت عينى، وتركت نافذتى قليلا يداعبها ريح الشتاء، وتركت جفنى قليلا يستقبل ضوء الليل رغم ما فيه من برودة، لعل الشتاء القادم من النافذة يبعد عنى الوحدة فى جدار نفسى، وفى صمتى الذى يحتل خلفه ضجيجا ما به من ضجيج، شوشرة عقلية تعصرنى، وألم يغمرنى، فمن منا يا فصيل النساء لا يسكنهن الوجع؟! انها حالة كرغبة فى نوح، فى صوت كأنه الفحيح، هل هو بداية الاحتضار، هل ما بقلبى اسْتَنَاحَ عقلى فاستبكاه، هذا القلب الصغير الذى ينبض داخلى اهو يحركنى أم أن بالعقل خيالات مستحيلة، لقد عشقت فيك رقة ما بعدها رقه، بحثت فيك الخل الوفى والعنقاء منك ما شريدة فأنت بالأعناق عندى سوارا من الذهب، كم داعبتنى بكلمات أطرت بالقلب حبا وروت بالفؤاد ماء عذبا هو أنت مليكى وعفتى ونور رأيته عند ولادتى، ماذا يظنون فى قلب من الصدر انتزع غصنا منه، حملتنى فأنت الروح منك وإليك التصقا بضلع يسراك فتولدت لحظة التاريخ عندى .

فى الغياب من عدو إلى رفيق، وكم من الأيادى تحاول أن تمتد إلى قلبى فى غيابك، ولم يعرفوا أن عهد العف فيك بقائى، لم يدركوا أن المساحة البيضاء فى جداريات المرأة كبيرة، يغير لونها من الرجال كثير، لم يعرفوا أن مساحة الأوجاع لا يغطيها إلا أنفاس الحضور فى تلاقى الصدور، وحين غيابك أضع جدارياتى فى تابوت مظلم لا يضاء من غير مفتاحك، لا يعلمون من هى الأنثى، هى فراشة تبحث عن رحيق عذب، تأخذ من زهر الرجال، ثم تطرحه عسلا يشتهيه كل من يراه، ألا تستحق الأنثى بداخلى أن تكرم أم أن تهان من رجال فى البخل هم كالصولجان، يبحثون عن الأنثى كصيد سمين، وينسون أن بينهم رباطا متينا، خلقت للرجل كى تحافظ عليه، وهو عابث فى

طريق لهو تمتد اليد إليه، والعين من الرجال زيغ كثيرة، والى النساء روع منها أليمة، فكم من امرأة أبكاها زوجها، وكم من امرأة حافظت على عهدها، وكم منهما ابقى كلمة طيبة فى دستور الحياة، فانظر إلى جداريات الأنثى وتعلم كيف تتعامل مع رقه الأنثى و وداعتها ولا تحاول أن تستفز مشاعرها فهى غيورة، عتيدة، عنيدة، تتدلل، لا تعشق إلا نغمات رومانسية، فكفاها ما تتحمله من طفولة بريئة فى تربية، وكفاها غياب زوج أو رحيل أو فراق، إنها تحتاج قلعة الرجال للحماية، فتصبح فى جدار الحياة كمن ينتظر لحظة رحيل فى لقاء، إنها الأنثى، التى إذا داعبتها مزحا فى نية غير مبينة انتظرتك عند أول حرف فى اللوحة لتسقط لوحتك المعلقة وتستبدلك، إن الأنثى جرحها لا ينسى، وعطفها لا يمحى، ويداها حانية على جنس الرجال إلا البخيل، والسفيه، وفظ القلب، والذى لا يغار.

هى التى لا تنسى الفحولة، ولا من يحميها، ويدافع عنها، ويجعلها فى مصاف النساء أسطورة، ودوما يعانق جداريات الإنسى فى ذكرى العناق، هى تلك الأنثى الحالمة، من رحيق الزهور المختلفة، إنها تعشق الروح النقية، انها ترق على أوتار وترانيم الحروف من ألسنة الرجال، ينبض قلبها و يتراقص الحرف ويداعب العين ويحمل فى داخله حبا عميقا، نه المرعى لها، والكلأ حين تشتاق، والماء الذى ترغبه فى الارتواء، فما أصعب صيام المرأة فى سدود الرجال، إنها الأنثى فى الصبر عن الرجال طولا، فى حياكة الكيد أكثر منهم عيلا، وفية فى الانتظار، وتكره نظرة الغدر فى اقتدار، تبحث عن مأمن، وتبحث عن مملكة خاصة لا يشاركها كثير من الملكات، إنها ملكة النحل، التى لا تقبل فى خلية النحل أن تظهر شغالات أخرى ذات غذاء ملكى فتصبح أكثر من ملكة، إنها الأنثى التى تصارع عن بقاء.

إن الأنثى اذا أحبت صدقت، وإذا أوفت وعدت، وإذا اؤتمنت صانت، فيا لها من جدار أملس تدق فيه أصابع الرجال فى ملمس حريرى، كم تنادى المرأة فى ليلها رجلا يحبها، فى غياب الصوت المخنوق، فى شظايا الحب المكتوم داخل قلبها، إنها العطاء فى صرخات الظلام الذى يبحث عن رجل فى بصيص الأمل، قبل أن تتعثر قدماها وتتخبط فى أركان الظلام، لتجد نفسها

فـى الواقـع الأليـم فـى ديوانيـة مـن قسـوة الرجـال لا يعرفـون كيـف تكـرم المـرأة، ورغـم هـذا الأمـل الموحـى فـى العقـول، فإنـه مـازال هنـاك أمـل يبقـى، إن جداريـة الصمـت فـى المـرأة رغـم كل الخـوف فإنهـا متحركـة، صامـدة، لا تلـين إلا لمـن حمـى لهـا العريـن، فالرجـل للأنثـى حمايـة ووقايـة لمـن يعـرف كيـف يزيـن المـرأة علـى رؤوس المشـاهد، إنهـا المخلـوق الـذى مـن أجلـه وجـدت الدنيـا، فرحمـة بهـن أيهـا الرجـال، واعرفـوا قدرهـن علـى رؤوس العـالم، إن الأنثـى، مخـزن الأحاسـيس، فمـن يسـتوعبها، ومـن يفهمهـا، ملـك كثـيرا مـن متـاع الدنيـا، فالدنيـا متـاع وخـير متاعهـا المـرأة الصالحـة، إنهـا الأنثـى، مملكـة الرجـل وبوابتـه، فتحيـة لهـا فـى عيدهـا وتحيـة فـى يومهـا العالمـى، تحيـة تقديـر لمـن منهـن علـى قيـد الحيـاة ولمـن فارقـن الدنيـا وخلفهـن حضـارة الأمـم.

obeikandl.com

المقال الثالث عشر
نعم أحبك ...هل لأنك أبي؟

حين تتكلم طفلتى وتقول فى حلمها فى المهد أنت تشدنى حين أعرج فى طريق الخطأ، يسألوننى: أأتألم من هذا الحب، فقلت: نعم ربما أتألم، حين يغادر اسمه ورقة ميلادى. فيسألوننى أسئلة كثيرة، من هو الحبيب الذى لا يؤلمك؟ فأقول: انظروا لدفتر الميلاد، هل صح بداخله العنوان، من غيرك أنت يا أمى تعرف له العنوان، نعم قولى لى: هل هو عنوانى الصحيح؟ حين رأيته وتعلقت به لا يخذلنى، حين أمسكت تلابيبه لا يبعدنى، بل يحضننى، وقفت حائرة إلى من أنتمى، إلى من بذرنى، أم إلى من احتوانى، من منهما يردنى، من منهما يغير فى صفاتى الوراثية، من منهم يغير حياتى، فيحولها إلى جنة، أو يحولها إلى جحيم، لم أنت يا أبى هكذا؟ أهى حقيقة أم وشاية، أهى ثورة ضدك أم نكاية، إنك كل الرواية، دونك ما وُجدت فى هذه الأرض، دونك صارت الأرض خربة، عجفاء، حين طلبتك هل مددت يدك لتعيننى؟ أم خذلتنى، سألتها فى براءة طفولة، أين هو؟ فسردت لى قصة لم أفهمها، لم أعرفها، هل أنت حقا كما يصفون لى، هل أنت من أى منهم؟ صف لى من أى نوع أنت، أنهم يصفونك فى كثير فى المواقع بوصفات كثيرة، تستحق معه جائزة نوبل كما يمنحونها فى هذا العصر، أو جائزة الشريدة، جائزة الضياع، فهل تستحق حبى؟ أم أستحق أنا كرامتك؟ أخاطبك فى قرب فأجبنى، وفى بعادك أتساءل لم تهجرنى؟ اجبنى كى لا أصل لمنصة القضاء، فى دنيا كنت منها لى فى ساحة استقصاء، فلم فعلت؟ وبما أنت إلى اليوم عللت، فكثير من العلل، أعياها الحيل، فمن أى نوع أنت، ألكونك أول من جئت إلى الدنيا، واليك جئت، فجنيت، دعنى أنظر إليك، كيف تنظر إلى من احتوتنى، إلى من حضنت الحزن فى غيابك؟ أعلم انه ما اكتمل أمرا فى الوجود، وأعلم أننا

نقبل ما ينقصنا، وإن أردناه كاملا فى الدنيا صرنا له أعزب، هو هذا ما أعلمه، وأى درجه من الانتقاص أنت فيها، وأى درجة بالاكتمال أنت، فدعنى أتصفح نسيج البذور المتشابة أو المتغايرة فى أرحام النساء، ,أى بذر أنت منه، هل أنت بذر يطابق جودة الزارعة حتى تنبت جيلا قويا، أم أنك بذر يسهل الهواء من الأرض اقتلاعه، فتختفى وتتعرى تربتى، فأحاول أن أستر نفسى بحشيشة الأرض التى ربما تتصيدنى، وربما تعشش بها رطوبة الأرض فتختلط بالعفن، أجبنى بعد استعراضى .

كنت أحادث أمى ذات يوم، حين كانت كل يوم تقص رواية المساء فقالت لى، وصوتها مؤلم حين كانت ترضعنى، حين كانت تمسح على ظهرى حتى أغفو إلى النوم، وأنت لم تعد بعد، فدوما خارج البيت، فسألتها: أين هو؟ فقالت: تذرف من الكلمات دمعا، لم يعد يأبه بى بنيتى، أصبح دفتر حضوره للبيت ممزقا، وحين أساله لديه من الأسباب الملفقة الكثير، لقد أصبحت بالنسبة إليه، قطعة من الأثاث، قطعة من الديكور يتلقفنى حين يريد الاستمتاع بها، لم يعد يحاورنى، لم يعد يحادثنى، فلم يعد يعرف معنى غزل النساء، وعطشهن إلى كوب ماء، فقد تركنى مع بكائك، وطلباتك، ورغباتك، فأين هو من سور الحماية؟ وأين هو من إبعادك عن طريق الغواية؟ وهو السد المنيع، وهو الأب فى الوقاية، وعن العرض صيانة، لقد اكتفى ببذر أرضه وحرثه، ولم يعد يقاوم الحشائش، ويروى أرضه بانتظام، فذبلت وردته، وجفت ورقته، وأصيبت بالاصفرار، لقد وصلت إلى حالة من الذبول، ولم يعد يصل فى ريه لمستوى الماء الأرضى، ولا فى سعته كالماء الحقلى، لقد افتقد مهنة عظيمة، إنها مهنة الفلاحة، فإن أباك افتقد هذه المهنة، ولم يتعلمها، وأخاف من الغرق، وأبقى فى صحراء جرداء لا يحميها كثيب فى ريح، ولا أرض جفت من الماء، ,أخاف من فتنة الذئاب، من صرخة على دق باب، وهو هو فى زمن الغياب، عندها مررت مسرعة يا أبى جريت إليك حين جئت فسألتك، وأجبتنى، أى بنيتى ألا تعلمين أنى لى فى حياتى رغبة فى فسحة، فأنا فى كد اليوم كثير من النصب، وإذا أقدمت رأيت منها العجب، تثرثر فى كثير من مقال وأدب، تذكرت يا بنيتى فى طفولتى كيف كانت أمى تستقبل أبى، وفى عصر

التكنولوجيا، أدخل فأراها تتحدث بالهاتف ولا تستقبلنى، لا تطبع قبلة الحنان على جبينى، فأقول: لم لا تبدأ أنت؟ هذا تقصير منك، فعاملها بهدهدة، فكم من مرة هى تقوم بالهدهدة، فقال: أخاف من طلبات مادية، أو أخشى طلبا لهدية، فقلت هذا خطأ كبير وسوء ظن عظيم، فهى تكفيها كلمة، تخرجها من ثرثرة أبدية، فى هاتف يرن فى يديك، فتنزوى يا أبى خلسة تتحدث مع من؟ تبعث فى قلبها الريبة، كأنك تخاطب حبيبة أسألك فلم تجبنى، فأستدير إلى الباب مسرعة إلى أمى وأسألها، أماه قولى لى، وأبلغتها ما سمعت فقالت: أى بنيتى، إنه رجل كسول، يريد ما يريد، ودائما عينه فى أفول، لم يطور نفسه كالغير، لقد خطط حياته فى دفتر يومى، يأتى لينام، ليحتسى ما يريد حتى ولو كنت مريضة، ويخرج ويعاود التأخير دون أن يكون لى عنده نظير، ويأتى بحجج كثيرة، يعرض أمامى تصرفات تناقض ما رسمته فى مخيلتى، فلم تعد الأحلام ولا الآمال فيه تطرب، وإن سألته يغرب، أصابنى بالملل وأنا أحاول صبرا بلا كلل ولكن دفتر غيابه أصابه كثير من العلل، أسرعت إلى أبى، وسردت عليه ما أمليت أمى، فى لسان أكثر ما أصفه وأنا لا أعلم عن الكلمات شيئا إلا فى بيت شعر تعلمته فى دروسى المدرسية:

وعين الرضا عن كل عيب كليلة ولكن عين السخط تبدى المساويا

ألا تتفق معى يا أبى أنكما تنطبق عليكما تلك الصفة، فلم تحاولا الاقتراب، ونسيتما أن بناء العش يحتاج إليكما، فأنت الحماية وهى لنا الرقة الكاملة من جمع أغصان فى العش حتى ندفئ بكما معا، فغادرت خيمة أبى إليها أحاورها، ورأيتها تبكى، فقلت لها: لمَ تبكين يا أمي؟ فقالت: ألا تسمعين أى داء فى الدنيا أثقل من الهم، فقلت: لا يا أماه، قالت: هو داء البخل فى الرجل، فالبخل يحمل دوما فى عباءته الكذب وأنا أكره، ما عندى الكذب، أما قلت لك كم من مرة يأتى بأسباب ملفقة، وأنه سريع الغضب حين أواجهه، يا بنيتى يكفينى لمسة يده على شعرى، يكفينى أن يمسح بيديه ظهرى الذى انحنى كل يوم من التقاط الحب كى أطعمكن، فسارعت إلى أبى اسأله يا أبى، لم لا تشعر أمى بالجنة، فقال: أى جنة؟ قلت له جنة الرحمة على أمى، فقالت لى: كيف وهى حين ترانى تبكى فهى بكاءة،

نواحة، شديدة الخصام، تفتعل بيننا ما يعكر صفو الوئام، فجريت نحوها وأنا غاضبة، أهلل بكلمات لا أفهم منها غير صوت الصهيل، فقالت حين رأتنى، هل ملأ عقلك بما قال عنى، أنت لا تعرفينه، أنت لا تدركينه، إنه يقلب رأس الحقيقة، انه النقيض، إنه مزيف فى المشاعر، وكأنه فى عش راغب كطائر، إنه فقط لا يعشق فى نفسه إلا حب المظاهر، يراه الناس فى أطيب خلق، وأبدع كلمة وأطيب رداء، ومن يستمع إليه ير منه كثيرا من الرجاء، ويا عجبا إنه كثير الرياء، فى زيف داء. تثاقلت همومى فجريت ثانية نحو أبى، وأنا أبكى، كيف يبدر منك كل هذا، ما هذه الصفات، ونحن لحبك راغبون؟ فقال: يا بنيتى أنتم لحبى راغبون، وهى لحب المال عندى ترغب وهو ما للرجال يكرهون، هى تحتاج إلى بدلة أنيقة، وهدية ثمينة، وكلمة معسولة فأين لى من كل هذا وأنا كل يوم أجد، وفى عملى أجتهد، وفى الصبر هى عنى ما تود؟ فكيف لى عليها صبرا، وكيف لى عليها أمرا، آمرها فتبعد عنى، وأرغبها فتهجرنى، ألا تعلم أنى أعانى، وأعلم أنه بغيرها لا الدنيا بعين الحب ترانى، إنها محبوبتى حين رغبتها، وأنت منها بذرتى، فكيف لا أحبكما؟ سارعت إلى سريرى أبكى وأجهش فى دموعى وأبكى على وسادتى، حتى رأيت من يوقظنى من نومى فقلت: نعم أحبك لأنك لست هكذا؟

فأنا أهواك، بكفك الحانية، وابحث عنك يا أبى وعن رضاك، فقد غرست فى قلبى أجمل الكلمات، كان نطقها معا، ماما.... بابا، علمتنى شدو الأمل، عطفك بلا حدود أتذكرك فى عيد أمى يا غائبا عنى، زرعت بداخلى كلمة أحبك فى فطرة جبين تعبك، ولأنك لست مثلهم فأنا أحبك، كنت لى صائنا، وراعيا، ولست مثل الكثير شاكيا، لم تتململ، من أعباء الحياة رغم قسوتها، وفرت لى الكثير، فأنت نعم الأب، ونعم العيش رغم قلته كثير، كم سأقف عاجزة حين أشتاق إليك ولن يعوضنى غيرك، وودك لأنك لست مثلهم، نعم أبى وأمى.

حين أتذكرك فى الغياب، أرى الدمع فى العين يتجاوز أن يسقط لا أريد له سقوطا، أريده بريقا يذكرنى بحبك الأبدى فى عيد أمى أتذكرك لما قدمت لى فلست مثل كل ما ذكرت من الرجال، عجزا عن رحيلك وصمتا فى جبينك، تحملت عنا الكثير، فلك منى الحب والتقدير.

تعقيب : ليس عندى أى تعقيب غير هذه الآية :

{وَقَضَى رَبُّكَ أَلاَّ تَعْبُدُواْ إِلاَّ إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِندَكَ الْكِبَرَ أَحَدُهُمَا أو كِلاَهُمَا فَلاَ تَقُل لَّهُمَآ أُفٍّ وَلاَ تَنْهَرْهُمَا وَقُل لَّهُمَا قَوْلاً كَرِيمًا وَاخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ الذُّلِّ مِنَ الرَّحْمَةِ وَقُل رَّبِّ ارْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِى صَغِيرًا}.(الإسراء :٢٣).صدق الله العظيم.

obeikandl.com